شَرْحُ حَدِيثِ

«مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»

- ذَمُّ الْمَالِ وَالْجَاه -

دار اللباب

دار الكتب الوطنية بتونس (ت) وهي مخرومة في أولها

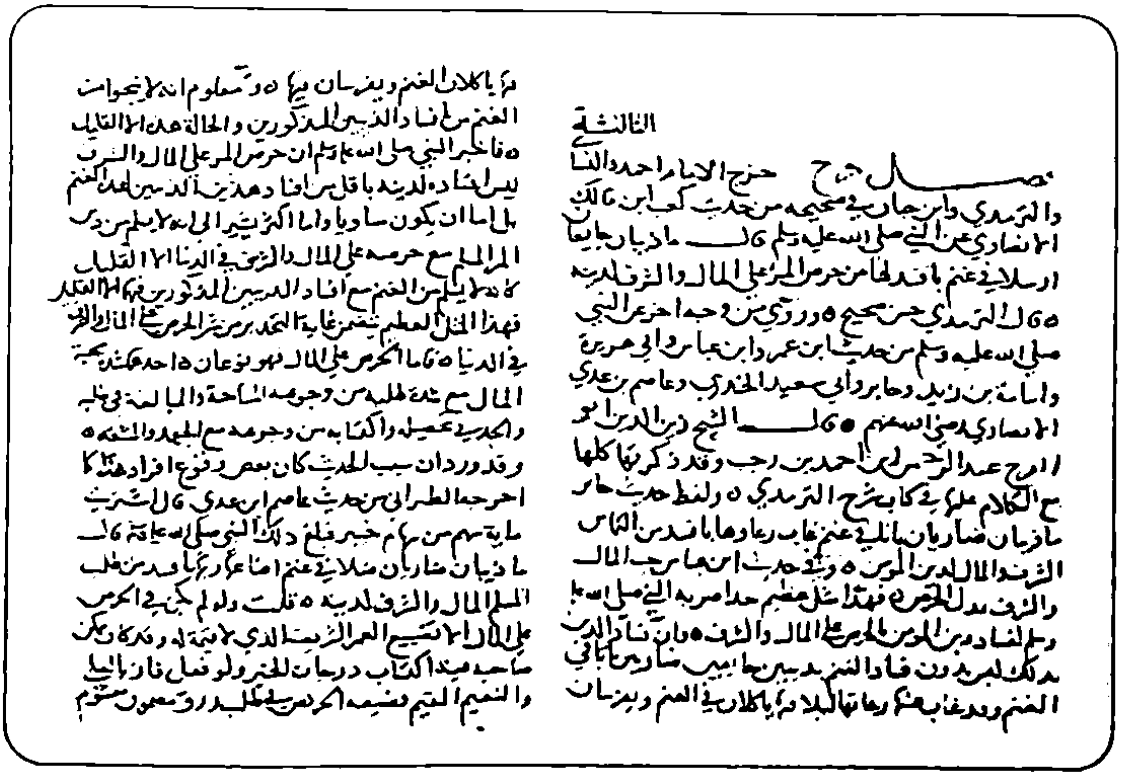

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

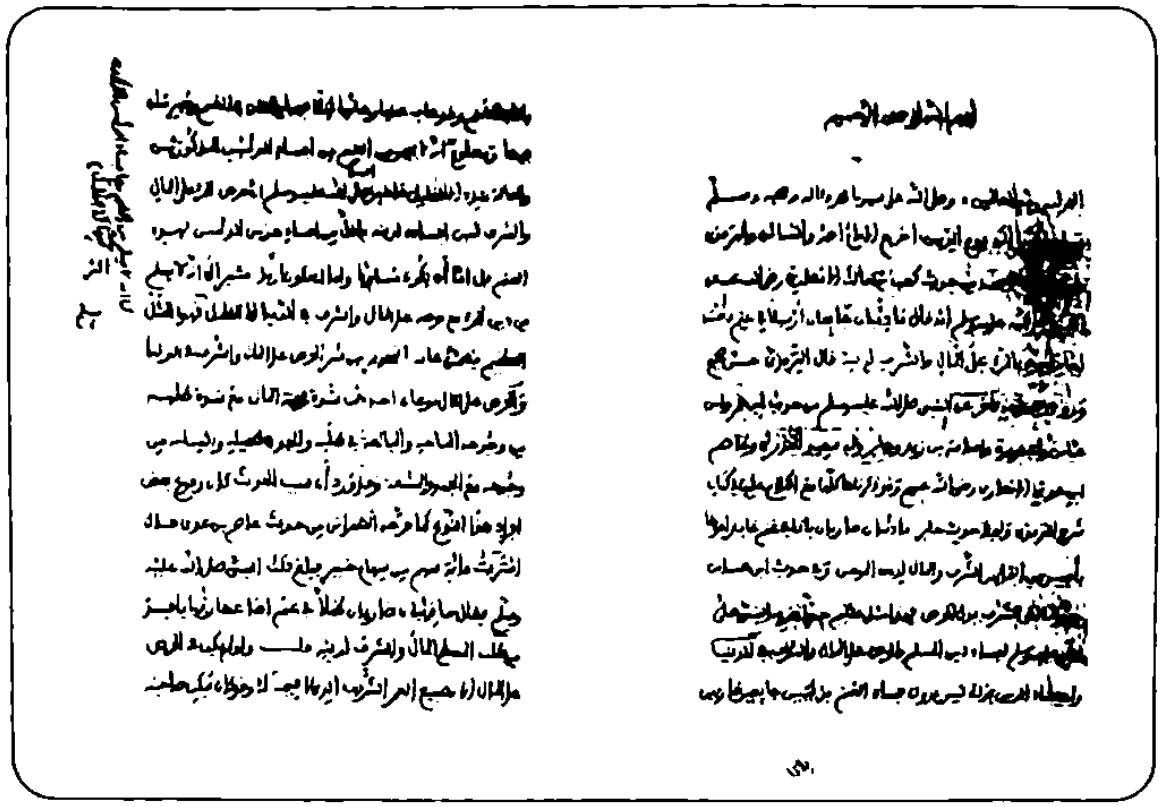

دار الكتب المصرية (ك)

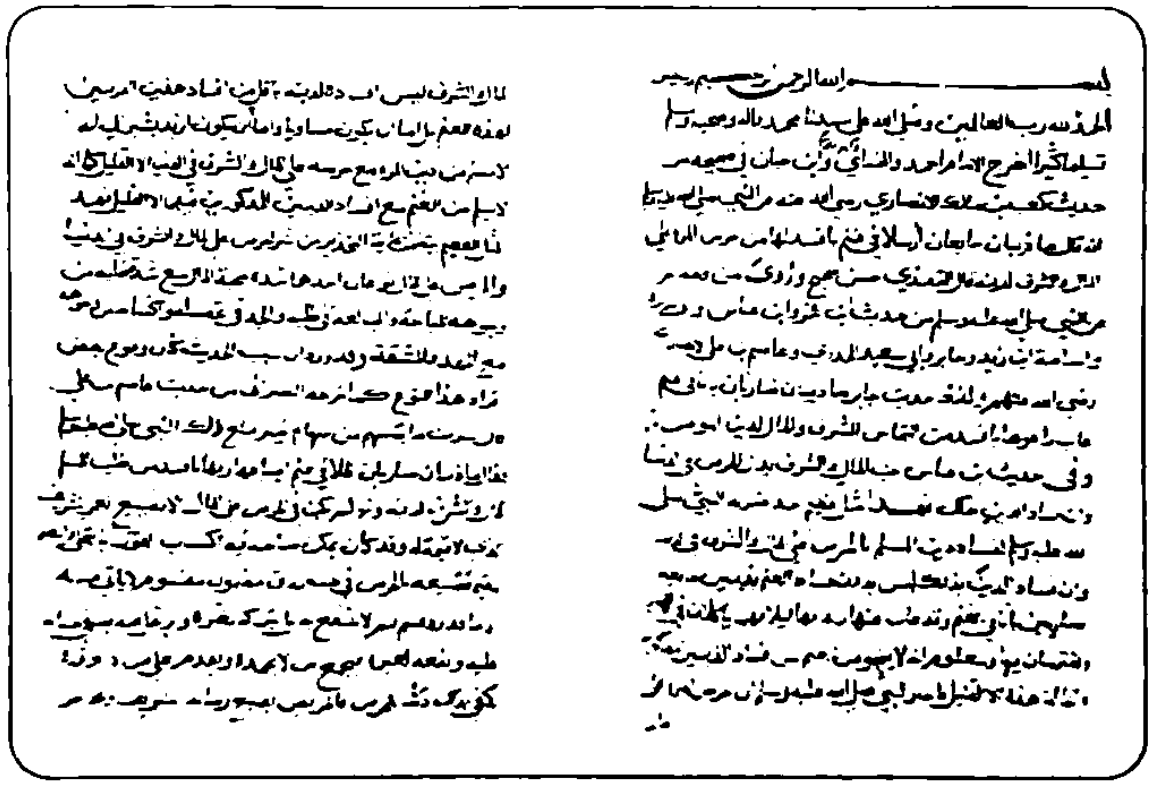

النسخة الأزهرية (ز)

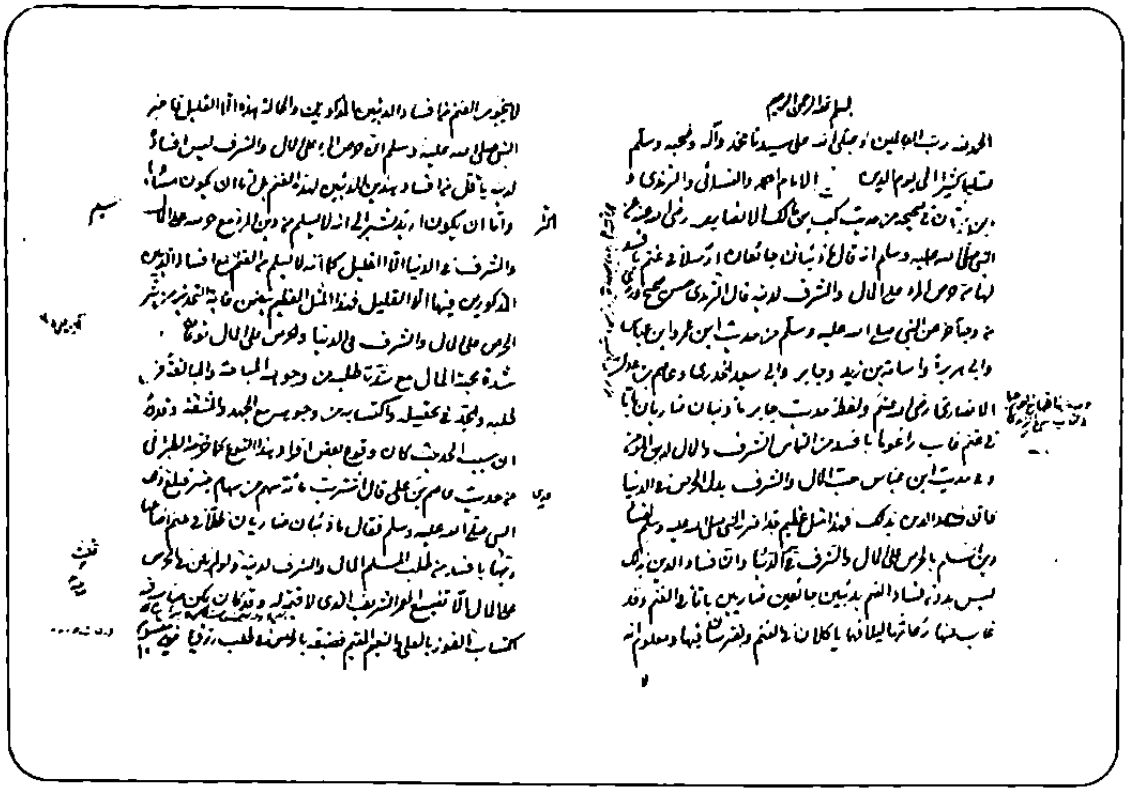

مكتبة عاشر أفندي في اسطنبول (ع)

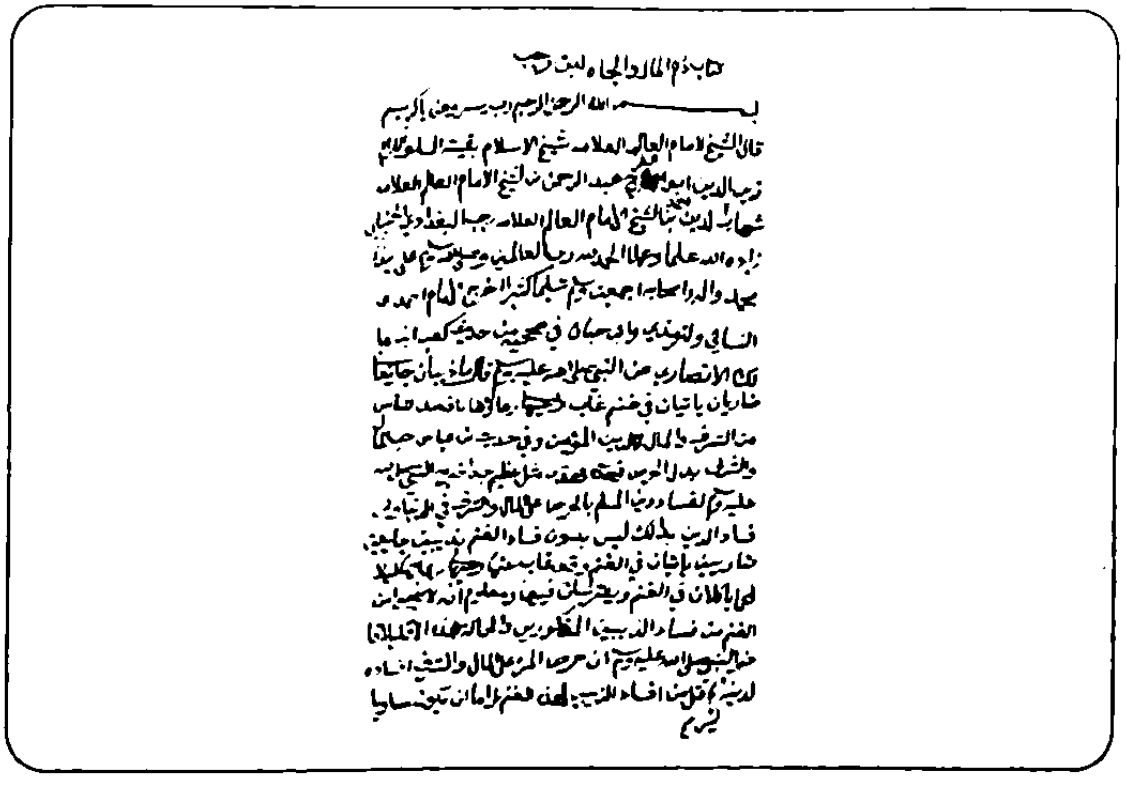

مكتبة جامعة الرياض (ض)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جَعل القناعة بالإيمان أغلى من الجاه والأموال، والزهدَ في الدنيا مفتاح الصلاح للأحوال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكمل الرجال، وعلى الصحب والتابعين لهم والآل.

أما بعد:

فإن قواطع الخلق عن الحق كثيرة، ومن أشدها تسلطاً على القلوب:

الحرص على المال وما يتبعه من مظاهر الدنيا، وكذلك الحرص على الجاه والمكانة في قلوب الناس، وما يوصل إلى ذلك من الوسائل والأسباب.

فالحرص على جمع المال قد يخرج بالإنسان إلى دائرة الحرام، من ارتكاب السرقة، والربا والغصب، وأكل أموال الناس بالباطل بالمعاملات المشتبهة، والامتناع عن أداء الزكاة وسداد الدَّين وبذل الحقوق لأصحابها؛ وذلك كله بعد اجتياز دائرة المكروه وخلاف الأولى، وذلك بعد اجتياز دائرة المباح من طلب المال للعيش.

وتلك المعاصي المتعلقة بالمال: واضحٌ تحريمُها وذمُّها وضوحاً شديداً من الدين، ولو أعمى الإنسانُ بصره وبصيرته عن النظر فيما يقع فيه منها!

* * *

وأما الحرص على الشرف والمكانة والسمعة والشهرة والجاه، فإنه قد يوقع الإنسان في دائرة الحرام من الكذب، والرياء، والتشبع بما لم يُعط، والمنافسة، والحسد، والبغي والظلم.

لكنَّ الأسوءَ من ذلك كله: ما قد يجامعه من تلبيسِ إبليس؛ فيتوهم العبدُ أنَّ ذلكَ الباطلَ إنما هو في سبيل الحق! وأنه ينصر بذلك الخير والهدى، رغم أن حقيقته أنه يقع في مهاوي الضلال والشر والردى!

* * *

وقد تناول الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى هذه القضية في شرحه هذا على حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسدَ لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» بأسلوبه المشوق في سرد الدلائل من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح وأحوالهم وقصصهم وعِبَرِهِم، والاستطرادات اللطيفة إلى بعض المسائل الفقهية.

فجدير بكل طالب علم أن يقف على هذا الشرح مستفيداً منه، ليجتنب تلك الآفات، ولئلا يدخل في تلك الشبهات، فيسلم له دينهُ، ويصفو له توجهُهُ في سلوكه إلى الله جل جلاله.

وهو الهادي سبحانه إلى سواء السبيل.

* * *

ذكرَ هذا الكتاب للمصنف: يوسفُ بن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٤٢).

وسمياه: «ذم الجاه».

وقد توفر لدي عدد من نسخه الخطية:

النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها: (ت).

وهي الرسالة الثالثة من المجموع (١٥٧) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ لكنها مخرومة الأول، والتي قبلها ـ شرح حديث زيد بن ثابت «لبيك اللهم لبيك» ـ مخرومة الآخر، ولا يظهر ذلك في ترقيم أوراق النسخة.

ويقع الموجود منها في (٦) لوحات (من ٢٣/ ب إلى ٢٨/ ب).

وهي مقابلة كما في آخرها، وجاء عنوانها في فهرسة المجموع بأوله: «شرح حديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم».

لم يُذكر اسم الناسخ، ويرجع تاريخ نسخ المجموع إلى سنة ٨٥٢هـ.

النسخة الثانية: نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الرسالة الثالثة من المجموع (٥٣١٨) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في (١٧) لوحة، (من ٤٣/ أ إلى ٥٩/ ب).

وجاء العنوان في فهرسة المجموع بأوله: «شرح حديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم».

ناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي في سنة ٨٩٣هـ.

النسخة الثالثة: نسخة دار الكتب المصرية، ورمزها (ك).

رقمها: خصوصية (١٥٠٩ حديث)، عمومية (٤٠٨٣٧).

وتقع في ٢٠ لوحة، جاء العنوان في أولها: «شرح حديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». ومسطرتها ١٥ سطراً.

وعليها ختم الكتبخانة الخديوية المصرية، وخطها مَغربي جيد، كتبت فيها الآيات وضبطت بقراءة نافع.

لم يكتب اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، ولعلها ترجع إلى القرن العاشر تقديراً، والله أعلم.

النسخة الرابعة: النسخة الأزهرية، ورمزها (ز).

وهي في ضمن مجموع (من ٥٧/ ب إلى ٧٤/ أ).

وتقع في (١٨) لوحة، مسطرتها ١٧ سطراً، جمعت ورُتِّبت من الدشت[١].

كُتبتْ أوائل الأحاديث والفِقَر بالحمرة.

وجاء العنوان فيها: تأليفٌ للإمام العارف بالله تعالى ابن رجب على قوله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

وكُتب بخط إفريقي: والأنسب باسم هذا الكتاب أن يقال: «منهج السلف والخلف في ذم الحرص على المال والشرف».

وكاتب هذا هو أحد من تملك الكتاب، وعَلّق عليه بعض تعليقات بقلم إفريقي، وهو: محمد بن خالد العنابي المغربي، نزيل تونس ثم مصر ثم بيت المقدس رحمه الله تعالى[٢].

ناسخها: أحمد بن منصور البرلسي المالكي، في أواخر رمضان ١٠٢٢هـ

---

(١) الأوراق الكثيرة المختلطة المتناثرة.

(٢) وهو ممن أخذ عن السيد محمد مرتضى الزبيدي، فذكره في «المعجم المختص» (٦١٤). كان حياً في أول القرن الثالث عشر الهجري. رحمه الله تعالى.

ويليها في المجموع: «مختصر المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة» للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني.

النسخة الخامسة: نسخة عاشر أفندي، ورمزها (ع).

وهي في مكتبة عاشر أفندي في اصطنبول، في ضمن مجموع (٢٧٧)، وهي الرسالة الثالثة منه وقبلها: «أخلاق العلماء» و«أخلاق حملة القرآن» للآجري.

والعنوان في أول المجموع: «وفيه أحاديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

وتقع في (١٦) لوحة، مسطرتها ١٥ سطراً. بخط فارسي جميل متقن، وعلى حواشيها إثبات فروق نسخ قوبلت بها، وشرح لبعض ما يحتاج إلى شرح، مما يدل على عناية ناسخها.

وناسخها هو: خير الله محمد بن عثمان بن سفيان بن مرادخان[1]. وتم نسخها يوم الأحد ١١ من جمادى الآخرة سنة ١١١٨هـ وقرأها مرة ثانية وأثبت مطالعته وتصحيحه.

النسخة السادسة: نسخة جامعة الرياض، ورمزها (ض).

وهي برقم (١٨٩٠)، وتقع في ١٢ ورقة، مسطرتها ٢٤ سطراً، جاء العنوان فيها: «ذم المال والجاه».

وما كتب في أولها يدل على أنها منسوخة من نسخة كتبت في زمان المصنف ـ وقد أثبته في أول الرسالة ـ.

---

(١) البولوي، الرومي، الحنفي، وهو عالم فاضل، فقيه متقن، من تلاميذ عبد الله بن سالم البصري، وأبي الطاهر الكوراني، معتن بالكتب نسخاً ومطالعة وتصحيحاً وضبطاً. له ترجمة مقتضبة في «سلك الدرر» للمرادي (٢/ ١٠٦).

ليس فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكن خطها من خطوط القرن الثالث عشر أو أول الرابع عشر.

وعليها ختم: «المكتبة العمرية، لصاحبها محمد الحمد العمري وأولاده. الرياض».

النسخة السابعة: نسخة مكتبة الرياض العامة، ورمزها (ر).

وهي الرسالة الثانية في ضمن المجموع برقم (٦٨٦/ ٨٦)، وتقع في (١١) لوحة (من ٥/ ب إلى ١٥/ ب).

جاء العنوان فيها: «شرح حديث ما ذئبان جائعان».

وهي بخط: إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عيسى[1]، وتاريخ تمام نسخها: شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٤.

وفي أولها تملك باسم: محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن.

لم نقابل هذه النسخة بتمامها، وإنما رجعتُ إليها في بعض المواضع.

النسخة الثامنة: نسخة الربيعي.

وهي في جامعة الرياض، في ضمن المجموع رقم (١٦٣٧)، وهي الرسالة السادسة منه، تقع في ٢٠ صفحة (من ١٣٩ إلى ١٥٨) وهي بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي، تمت كتابتها بتاريخ ١٧ رجب ١٣٣٣ ونُقلت من خط محمد بن علي بن زامل سنة ١٢١١. ولم أرجع إليها لتأخرها.

* * *

---

(١) القاضي النجدي الحنبلي، توفي في شقرا، يوم عرفة سنة ١٢٨١ رحمه الله تعالى. له ترجمة في «تسهيل السابلة» لصالح آل عثيمين (٣/ ١٧٠١).

وللكتاب طبعات كثيرة جداً، من أقدمها طبعة لاهور سنة ١٣٢٠ مع مختصر «قيام الليل» للمروذي، وطبعة مجموعة الرسائل المنيرية، وغيرها مما تأخر عنها، وهو مما يزيد على عشر طبعات.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

[ربِّ يسِّرْ يا كريم]

[قال الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، شيخ الإسلام، بقية السلف الكرام، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام، العالم العلامة، شهاب الدين بن الشيخ الإمام العالم العلامة رجب البغدادي الحنبلي، زاده الله علماً وعملاً][1]

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه أجمعينَ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ[2].

خَرَّج[3] الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ والتِّرْمِذِيُّ وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِه» مِنْ حديثِ كعبِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «ما ذِئْبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بأفسدَ لها مِنْ حِرْصِ المرءِ على المالِ والشَّرَفِ لِدينِه». قالَ التِّرمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ[4].

ورُوِيَ مِنْ وجهٍ آخرَ عنِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ حديثِ ابنِ عمرَ،[5].....

---

(١) هذا من (ض) وحدها.

(٢) سقطت هذه المقدمة من (ف)، وجاء بدلها: «فصل».

(٣) من (ف) و(ض)، وفي سائر النسخ: «أخرج».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٧٨٤) (١٥٧٩٤)، والنسائي (١١٧٩٦)، والترمذي (٢٣٧٦)، وابن حبان (٣٢٢٨)، وغيرهم.

(٥) أخرجه البزار في «المسند» (٦١٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٤). قلت: ولعله يرجع إلى حديث أبي هريرة، والله أعلم.

وابنِ عبَّاسٍ[١]، وأبي هريرةَ[٢]، وأسامةَ بنِ زيدٍ[٣]، وجابرٍ[٤]، وأبي سعيدٍ الخُدْريِّ[٥]، وعاصمِ بنِ عديٍّ الأنصاريِّ[٦]، رضي الله عنهم[٧]، وقدْ ذكرتها[٨] كُلَّها معَ الكلامِ عليها في كتاب «شرحِ التِّرمذيِّ»[٩]، ولفظُ حديثِ جابرٍ: «ما ذئبانِ ضاريانِ[١٠] باتا في غنمٍ غابَ رعاؤها[١١] بأفسدَ مِنِ التماسِ الشَّرَفِ والمالِ لدينِ المؤمنِ»[١٢].

وفي حديثِ ابنِ عبَّاسٍ: «حُبُّ المالِ والشَّرفِ»[١٣] بدلَ «الحرصِ»[١٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٧٧٨)، وفي «الأوسط» (٨٥١).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٦٤٤٩)، والطبراني في «الأوسط» (٧٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٥، ٩٧٨٦، ٩٧٨٩، ٩٧٩٠).

(٣) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٩٤٣)، ومن طريقه المقدسي في «المختارة» (١٣٢٣).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٧، ٩٧٨٨).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٢٧٩).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٣١٧)، (٨١٦٦)، وفي «الكبير» ١٧ (٤٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٩١).

(٧) زاد هنا في (ف): «قال الشيخ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب».

(٨) في (ك): «ذكرناها».

(٩) سقطت هذه الجملة من (ز). وشرح ابن رجب على «سنن الترمذي» فقد قديماً، ولم يصل منه إلا قطعة من كتاب اللباس، وشرح كتاب العلل.

(١٠) في حاشية (ع): «من ضَرِي بالصيد ـ بالكسر ـ: إذا لهج به، وتعوده. كذا في «النهاية». «النهاية»، لابن الأثير (ضرا).

(١١) في (ع) و(ز): «راعوها».

(١٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٧)، ولفظه: «ما ذئبان جائعان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأفسد فيها من التماس الشرف والمال لدين المؤمن».

(١٣) لفظ حديث ابن عباس عند الطبراني: «حب ابن آدم الشرف والمال».

(١٤) في (ز) زيادة في هذا الموضع، وهو قوله: «في الدنيا، وإن فساد الدين بذلك»، وهي زيادة تنافي السياق، =

فهذا مَثَلٌ عظيمٌ جدًّا ضربَه النَّبيُّ ﷺ لفسادِ دِينِ المسلمِ[1] بالحرصِ على المالِ والشَّرَفِ في الدُّنيا، وإنَّ فسادَ الدِّينِ بذلكَ ليسَ بدونِ فسادِ الغنمِ بذئبَينِ جائعَينِ ضارِيَينِ باتا في الغَنَمِ وقدْ غابَ عنها رُعاتُها ليلاً، فهُما يأكلانِ في الغنمِ ويفترسانِ[2] فيها.

ومعلومٌ أنَّه لا ينجو مِنَ الغَنَمِ مِنْ إفسادِ الذِّئبَينِ المذكورَينِ والحالةُ هذهِ إلَّا القليل، فأخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ حِرْصَ المرءِ على المالِ والشَّرَفِ ليسَ إفسادُه لدينه بأقلَّ مِنْ إفسادِ هذينِ الذِّئبَينِ لهذه الغَنَمِ، بلْ إمَّا أنْ يكونَ مُساوياً، وإمَّا أنْ يكونَ أَزْيدَ[3]، يُشيرُ إلى أنَّه لا يَسْلَمُ مِنْ دينِ المرءِ المسلم معَ حرصِه على المالِ والشَّرَفِ في الدُّنيا إلَّا القليلُ؛ كما أنَّه لا يَسْلَمُ مِنَ الغَنَمِ معَ إفسادِ الذِّئبَينِ المذكورَينِ فيها إلَّا القليلُ، فهذا المثَلُ العظيمُ يتضمَّنُ غايةَ التَّحذيرِ مِنْ شرِّ الحرصِ على المالِ والشَّرَفِ في الدُّنيا.

[الحرص على المال نوعان]

فأما الحرصُ على المالِ فهو نوعانِ:

أحدُهما: شدَّةُ محبَّةِ المالِ معَ شدَّةِ طلَبِه مِنْ وجوهِه المباحةِ، والمبالغةُ في طلَبِه، والجِدُّ في تحصيلِه واكتسابِه مِنْ وجوهِه معَ الجُهدِ والمشقَّةِ.

وقدْ وردَ أنَّ سببَ الحديثِ كانَ وقوعَ بعضِ أفرادِ هذا النَّوعِ؛ كما خرَّجَه الطَّبرانيُّ مِنْ حديثِ عاصمِ بنِ عديٍّ قالَ: اشتريتُ مائةَ سَهْمٍ مِنْ سهامِ خيبرَ، فبلغَ

= ولعل الناسخ سبق نظره إلى ما سيأتي بعده من كلام. وكذلك في (ع) لكن ضرب عليها.

(١) في (ف): «المؤمن»، وأشير إليها في حاشية (ع).

(٢) في (ف): «يفرسان».

(٣) في (ف) و(ض): «وإما أكثر»، وأشير إليها في حاشية (ع).

ذلكَ النَّبيَّ ﷺ، فقالَ: «ما ذئبانِ ضاريانِ[١] ظلَّا في غنمٍ أضاعَها ربُّها بأفسدَ مِنْ طلبِ المسلمِ المالَ والشَّرَفَ لدينِه»[٢].

قلتُ[٣]: ولوْ لمْ يكنْ في الحرصِ على المالِ إلَّا تضييعُ العُمُرِ الشَّريفِ الَّذي لا قيمةَ له[٤]، وقدْ كانَ يمكنُ صاحبه[٥] فيه اكتسابُ درجات الخير، ولو فعل فاز[٦] بالعُلى والنَّعيمِ المقيمِ، فضيَّعَه بالحرصِ[٧] في طلبِ رزقٍ مضمونٍ مقسومٍ لا يأتي منه إلَّا ما قُدِّرَ وقُسِمَ، ثمَّ لا ينتفِعُ به، بل يترُكُه لغيرِه ويرتحِلُ عنه، فيبقى حسابُه عليه ونفعُه لغيرِه، فيجمَعُ لِمَنْ لا يحمَدُه، ويقدَّمُ على مَنْ لا يعذُرُه.. لكفى[٨] بذلكَ ذمّاً للحرصِ، فالحريصُ يضيِّعُ زمانَه الشَّريفَ، ويخاطِرُ بنفسِه الَّتي لا قيمةَ لها في الأسْفارِ وركوبِ الأخطارِ، لجمعِ مالٍ ينتفِعُ به غيرُه[٩]؛ كما قيلَ:

ومَنْ يُنفِقِ الأيَّامَ[١٠] في جمعِ مالِه ... مخافةَ فقرٍ فالَّذي فعلَ الفَقْرُ[١١]

---

(١) في مصادر التخريج: «عاديان» لا «ضاريان».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سقطت من (ز)، واستدركت في (ع).

(٤) في حاشية (ع): «بمعنى لا توجد له قيمة لنفاسته، لا بمعنى لا يسوى شيئاً».

(٥) في حاشية (ع): «لعله: لصاحبه».

(٦) في (ز): «اكتساب الفوز بالعلى» وكان كذلك في (ك) و(ع)، وذكر التصويب في حاشيتيهما.

(٧) في (ف) و(ض): «الحريص».

(٨) في حاشية (ع): «جواب لو» أي التي جاءت في أول كلامه رحمه الله.

(٩) في (ز): «يجمع ما لا ينتفع لغيره».

(١٠) في (ف): «الأعمار»، وأشار إليه في حاشية (ع)، والذي في «ديوان المتنبي»: «الساعات».

(١١) البيت لأبي الطيب المتنبي؛ كما في ديوانه (١/ ٤٨٤) بشرح العكبري.

ولا تحسبنَّ الفقرَ فَقْراً[١] مِنَ الغِنى ولكنَّ فقرَ الدِّينِ حقّاً هوَ الفقرُ[٢]

قيلَ لبعضِ الحُكماءِ: إنَّ فلاناً جمَعَ مالاً، فقالَ: فهل جمَعَ أيّاماً ينفقُه فيها؟ قيلَ: لا، قالَ: ما جمَعَ شيئاً[٣].

وفي بعضِ الآثارِ الإسرائيليَّةِ: الرِّزقُ مقسومٌ، والحريصُ محرومٌ[٤].

ابنَ آدمَ! إذا أفنيتَ عُمُرَكَ في طلَبِ الدُّنيا فمتى تطلُبُ الآخرةَ؟!

يا جامعاً مانعاً والدَّهرُ يرمُقُه مفكِّراً أيَّ بابٍ منه يُغْلِقُهُ

جمعتَ مالاً ففكِّرْ هلْ جمَعْتَ له يا جامِعَ المالِ أيّاماً تفرِّقُهُ

المالُ عندكَ مخزونٌ لوارثِه ما المالُ مالَكَ إلَّا يومَ تنفِقُهُ

إنَّ القناعةَ مَنْ يحلُلْ بساحَتِها لَمْ يلْقَ في ظِلِّها همّاً يؤرِّقُهُ[٥]

---

(١) في (ف) و(ع) و(ك): «فقرٌ» وعلى ذلك يكون خبراً لمبتدأ محذوف، والجملة في محل نصب مفعول ثان لتحسبن.

(٢) هذا البيت سقط من (ز) وهو لحق في (ع).

وجاء في (ف) و(ض): «ولكن فقر الدين من أعظم الفقر». وفي (ر): «ولا تحسبن الفقر من فقد الغنى ولكن فقر الدين من أعظم الفقر» ولم أصل لمعرفة قائل البيت.

(٣) أخرج نحوه الختلي في «الديباج» (٧) مما حكاه أبو محمد النميري، وفي «القناعة والتعفف»، لابن أبي الدنيا (١٣٦) نحوه، والنسخة منه محذوفة الأسانيد.

(٤) نسبه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٣/ ٨٤) إلى أكثم بن صيفي المخضرم، ونسب إلى كتاب جعفر بن يحيى في «البصائر والذخائر» (٤/ ١٧١)، و«التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (١/ ١٤٦)، وغيرهما. ولعل الأثر الإسرائيلي هو ما يليه.

(٥) سقطت الأبيات من (ز). والأبيات أنشدها أبو بكر بن خراش كما في «الديباج» للختلي (٨)، وأوردها ابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (١٣٧) من غير نسبة. ونسبت في كتب الأدب إلى عِدَّة.

وفي حاشية (ك) و(ع): «يؤرقه: أي يمنع من النوم».

قالَ ابنُ مسعودٍ: اليقينُ[١] أنْ لا تُرضِيَ النَّاسَ بسَخَطِ اللهِ، ولا تحسُدَ[٢] أحداً على رزقِ الله، ولا تلُمْ أحداً على ما لمْ يؤتك اللهُ، فإنَّ رزقَ اللهِ لا يسوقُه[٣] حِرْصُ حريصٍ، ولا يردُّه كراهةُ كارهٍ، فإنَّ اللهَ بقِسْطِه وعَدْلِه[٤] جعلَ الرَّوح والفرَحَ في اليقينِ والرِّضا، وجعَلَ الهمَّ والحَزَنَ في الشَّكِّ والسُّخْطِ[٥].

ومِنْ كلامِ بعضِ السَّلفِ: إذا كانَ القدَرُ حقًّا فالحِرْصُ باطلٌ، وإذا كانَ الغَدْرُ في الناس طِباعاً[٦]، فالثِّقَةُ بكلِّ أحدٍ عَجْزٌ، وإذا كانَ الموتُ لكلِّ أحدٍ راصِداً، فالطُّمَأْنينةُ إلى الدُّنيا حُمْقٌ[٧].

---

(١) سقطت الكلمة من (ف)، وفي بعض المصادر: «الرضا».

(٢) «تحسد»: هكذا في النسخ جميعاً، وفي المصادر: «تحمد».

(٣) في (ف) ونسخة في حاشية (ك) و(ع): «فإن الرزق لا يجره».

(٤) في (ف) و(ض): «وعلمه».

(٥) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٥٣٥) وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣١)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٥) موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه وروي عنه مرفوعاً أيضاً.

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «طباعاً في الناس». والمثبت من (ف) موافقاً للمصدر».

(٧) هذا مما وُجد مكتوباً في كيس رجل من أهل الإيمان أمر بصَلْبه ملك كافر....

أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٥٧)، وفي «ذم الدنيا» (٢٢٨)، والدينوري في «المجالسة» (١١٢١) مما قصَّه هشام بن إسماعيل.

وأخرج الخطابي في «العزلة» (ص: ٦٠) أن عبد الملك بن مروان وجد حجراً مكتوباً فيه بالعبرانية، فبعث به إلى وهب بن منبه، فإذا فيه: «إذا كان الغدر في الناس طباعاً، فالثقة بكل إنسان عجز».

ونسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار» (٣/ ٢١٣)، وابن العربي في «المسالك» (٧/ ٢١٦) إلى كسرى بزرجمهر.

وجاء ذكر الثقة ضمن كلام طويل للأحنف بن قيس في «تاريخ دمشق»، لابن عساكر (٢٤/ ٣٣٣). وهذا الشرط ليس بشك، لكنه إلزام للمخاطب بصحة القول.

كانَ عبدُ الواحدِ[١] بنُ زيدٍ يحلِفُ باللهِ: لَحِرْصُ المرءِ على الدُّنيا أخوفُ عليه عندي مِنْ أعدى أعدائِه.

وكانَ يقولُ: يا إِخْوتاهُ! لا تغبِطوا حريصاً على ثروةٍ ولا سَعةٍ في مكسب[٢] ولا مالٍ، وانظروا إليه بعينِ المـَقْتِ له[٣]، وبعينِ الرَّحمةِ له[٤] في اشتغالِه اليومَ بما يُرْدِيه[٥] غداً في المعادِ. ثمَّ يبكي ويقولُ: الحِرْصُ حِرْصانِ: فَحِرْصٌ فاجعٌ، وحِرْصٌ نافعٌ، فأمَّا النَّافعُ؛ فحِرْصُ المرءِ على طاعةِ اللهِ، وأمَّا الفاجعُ؛ فحِرْصُ المرءِ على الدُّنيا، فالحريصُ على الدُّنيا مُعَذَّبٌ، صاحبُه مَشْغولٌ، لا يُسَرُّ ولا يَلَذُّ بجمعِه لشُغْلِه، ولا يَفْرُغُ مِنْ محبته[٦] الدُّنيا لآخرتِه؛ كدًّا كدًّا لما يفنى[٧]، وغَفْلَتِه عمَّا يدومُ ويبقى[٨].

وأنشدَ بعضُهمْ في هذا المعنى:

لا تغبِطَنَّ أخا حِرْصٍ على سَعةٍ ... وانظرْ إليه بعَينِ الماقتِ القالي

إنَّ الحريصَ لَمَشْغولٌ بشِقْوتِه ... عنِ السُّرورِ بما يحوي مِنَ المالِ[٩]

---

(١) في (ز): «عبد الله»، وهو سبق قلم. وعبد الواحد بن زيد: هو أبو عبيدة البصري الزاهد العابد، يروي عن التابعين، وكان قاصاً لكنه متروك الحديث.

(٢) في (ك) و(ز): «تكسب».

(٣) في المصادر: «بعين المقت له في فعله».

(٤) «وبعين الرحمة له»: سقطت من (ف) و(ك) و(ض).

(٥) بين سطري (ع): «يهلكه» تفسير.

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «محبة».

(٧) في (ك) و(ز) و(ع): «لالتفاته لما يفنى» بدلًا مما جاء في (ف): «كداً كداً» وفي (ض) و(ر): «لآخرته كذلك وغفلته» والمثبت موافق للمصادر.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢١٢)، وفي «ذم الدنيا» (١٤٩).

(٩) البيتان أنشدهما ابن أبي مريم الجمحي، عند ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢١٢)، وفي «ذم الدنيا» =

وكتبَ بعضُ الحكماءِ إلى أخٍ له كانَ حريصاً على الدُّنيا:

أمَّا بعدُ، فإنَّكَ أصبحتَ تخدُمُ الدُّنيا[١] وهي تَزْجُرُكَ عنْ نفسِها بالإعراضِ والأمراضِ والآفاتِ والعِللِ، كأنَّكَ لمْ ترَ حريصاً مَحْروماً، وزاهداً مَرْزوقاً، ولا ميِّتاً عنْ كثيرٍ، ولا متبلِّغاً مِنَ الدُّنيا باليسيرِ[٢].

عاتبَ أعرابيٌّ أخاه على الحِرْصِ فقالَ له: يا أخي! أنتَ طالبٌ ومَطْلوبٌ، يطلُبُكَ مَنْ لا تفوتُه، وتطلُبُ أنتَ ما قدْ كُفِيتَه، كأنَّكَ يا أخي لمْ ترَ[٣] حريصاً مَحْروماً، وزاهداً مَرْزوقاً[٤].

وقالَ بعضُ الحكماءِ: أطولُ النَّاسِ غَمًّا الحسودُ، وأهْنَؤُهم[٥] عَيْشاً القَنوعُ، وأصْبَرُهمْ على الأذى الحَرِيصُ، وأخفضُهمْ عَيْشاً أرْفَضُهمْ للدُّنيا، وأعظَمُهمْ ندامةً العالِمُ المفرِّطُ[٦].

= (١٥٠)، ونسبه ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٢٩) إلى محمود بن الحسن الوراق.

(١) في (ف) و(ض): «حريصاً على الدنيا تخدمها».

(٢) كُتب في حاشية (ع): «موعظة بليغة».

والأثر في «القناعة والتعفف» لابن أبي الدنيا (١٣٤).

(٣) في (ف) و(ض): «يا أخي ألم تر»، وهو موافق لما في «شعب الإيمان»، والمثبت موافق لما عند ابن أبي الدنيا.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٣٣٠)، و«الزهد» (٣١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٧٠) من كلام رجل من العرب، وجاء من كلام إبراهيم بن أدهم ينصح به إبراهيم بن بشار عند أبي نعيم في «الحلية» (٨/ ١٣)، والخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (١٣).

(٥) في النسخ، والمصادر: «أهناهم» لأن في أصل الخبر: «وجدتُ...».

(٦) مما وجده أبو بكر محمد بن جعفر السامري، أخرجه ابن بشران في «أماليه» (١٢٩٩).

ولبعضِهِمْ[١] في هذا المعنى:

الحِرْصُ داءٌ قدْ أضرَّ ... بمَنْ ترى إلَّا قليلاً

كمْ مِنْ عزيزٍ قدْ رَأَيْـ ... ـتَ الحِرْصَ صيَّرَه ذَليلاً[٢]

غيره[٣]:

كم إلى كم أنتَ للحر ... صِ والأماني عبدُ

ليس يُجدي الحِرصُ والسَّعـ ... ـي إذا لم يكُ جِدُّ

ما لِما قدَّره الـ ... ـلَّهُ مِنَ الأمرِ بدُّ[٤]

ولأبي العتاهيةِ يُخاطِبُ سَلْماً[٥] الخاسرَ:

تعالى اللهُ يا سَلْمَ بنَ عمروٍ ... أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرِّجالِ[٦]

ومِنْ كلامِ المأمونِ: الحرصُ مفسدةٌ[٧] للدِّينِ والمروءةِ[٨].

---

(١) في (ك) و(ع): «قال بعضهم».

(٢) البيتان لأبي العتاهية كما في «ديوانه» (٣٥٢) وفي (ف): «رأيتَ صيَّرَ الحرصُ ذليلًا».

(٣) هذا الشعر من (ف) و(ض) ولا يوجد في النسخ الأخرى.

وتحرفت «غيره» في (ف) إلى: «عزيز»! وسقطت من (ض).

(٤) أنشده أبو العباس المبرد، كما في «أمالي ابن بشران» (٣٩١). وفيه: «للحرص وللآمال عبد». وهو الصواب. ونسبه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٣/ ١٥٩) إلى ابن أبي حازم. وذكره ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ١٥٦).

(٥) في (ك) و(ز) و(ع): «سلم».

(٦) «ديوان أبي العتاهية» (٣٣٧) وسَلْم هو شاعر معاصر له.

(٧) في (ك) و(ز) و(ع): «مفسد».

(٨) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ٣١٦)، قاله المأمون تعقيباً على بيت أبي العتاهية.

وأنشدَ بعضُهم[١]:

حِرْصُ الحريصِ جنونٌ ... والصَّبْرُ حصنٌ حصينُ

إنْ[٢] قدَّرَ اللهُ شيئاً ... فإنَّه[٣] سيكونُ[٤]

وأنشدَ بعضُهم[٥]:

حتَّى متى أنا في حلٍّ وتَرْحالِ ... وطولِ سَعْيٍ وإدبارٍ وإقبالِ

ونازحَ[٦] الدَّارِ لا أنفكُّ مغتربـاً ... عنِ الأحبَّةِ لا يدرونَ ما حالِي

بمشرقِ الأرضِ طَوْراً ثمَّ مغربِها ... لا يخطُرُ الموتُ مِنْ حِرْصي[٧] على بالي

ولوْ قنعتُ أتاني الرِّزقُ في دَعَةٍ ... إنَّ القُنُوعَ الغِنى لا كثرةُ المالِ[٨]

---

(١) سقطت هذه الكلمة من (ف) و(ز) و(ض).

(٢) في (ف): «إذ»، وفي (ع) و(ك): «إذا».

(٣) في (ز): «لابد أن».

(٤) لم يوجد عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) سقطت الجملة من (ف).

(٦) في حاشية (ع): «أي بعيد عن أهلي ووطني بسبب الاغتراب».

(٧) في (ك) و(ع): «حرص».

(٨) الأبيات في «المجالسة» للدينوري (٥/ ٣١١) من قول الخليفة المأمون، ونسبها ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٣/ ١٦٠) إلى كلثوم بن عمرو العتابي. وهي في «تاريخ دمشق»، لابن عساكر (٢٧/ ١٧٧) مما أنشده المبرد. وفي ترجمة (هارون الرشيد) منه أنها له. ونسبها ابن العديم في «بغية الطلب» (٤/ ١٧٩٩) إلى أبي العتاهية، وأوردها من غير نسبة ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٢٣١).

ولمحمودٍ الورَّاقِ[١]:

أيُّها المتعِبُ جُهْداً نفسَه ... يطلُبُ الدُّنيا حريصاً جاهِدَا

لا لكَ الدُّنيا ولا أنتَ لها ... فاجعلِ الهمَّينِ همّاً واحدَا[٢]

[النوع الثاني من الحرص على المال، وتطلبه من الوجوه المحرمة]

النَّوعُ الثَّاني مِنَ الحِرْصِ على المالِ: أنْ يزيدَ على ما سبَقَ ذِكْرُه في النَّوْعِ الأوَّلِ حتَّى يطلُبَ المالَ مِنَ الوجوهِ المحرَّمةِ، ويمنعَ حقوقَه الواجبةَ، فهذا مِنَ الشُّحِّ المذمومِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وفي «سننِ أبي داودَ» عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرو، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «اتَّقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ[٣] أهلَكَ مَنْ كانَ قبلَكم، أمرَهمْ بالقطيعةِ فقطعوا، وأمرَهمْ بالبُخْلِ فبخِلوا، وأمرَهمْ بالفجورِ ففجَروا»[٤].

وفي «صحيحِ مسلمٍ» عنْ جابرٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «اتَّقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ مَنْ كانَ قبلَكمْ، حملَهمْ على أنْ سفَكوا دماءَهم، واستحلُّوا محارمَهم»[٥].

[الشح]

قالَ طائفةٌ مِنَ العلماءِ: الشُّحُّ: هوَ الحِرْصُ الشَّديدُ الَّذي يحمِلُ صاحبَه على أنْ يأخُذَ الأشياءَ مِنْ غيرِ حلِّها، ويمنعَها مِنْ حقوقِها.

---

(١) سقطت الجملة من (ف) و(ض).

(٢) لم يوجد البيتان عند غير المصنف رحمه الله.

(٣) في (ك) و(ع): «فإنه».

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٩٥) بلفظ: «إياكم والشح».

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

وحقيقتُه: شرَهُ النَّفْسِ إلى ما حرَّمَ اللهُ ومنَعَ منه، وأنْ لا يقنَعَ الإنسانُ بما أحلَّ اللهُ له مِنْ مالٍ أوْ فرْجٍ أو غيرِهما، فإنَّ اللهَ تعالى أحلَّ لنا الطَّيِّباتِ مِنَ المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمناكحِ، وأباحَ تناولَها لنا مِنْ وجوهِ حِلِّها، وأباحَ لنا دِماءَ الكُفَّارِ المحارِبينَ وأموالَهم، وحرَّمَ علينا ما عدا ذلكَ مِنَ الخبائثِ مِنَ المطاعمِ والمشاربِ والمناكحِ، وحرَّمَ علينا تناولَ هذه الأشياءِ مِنْ غيرِ وجوهِ حِلِّها، وحرَّمَ علينا أَخْذَ الأموالِ وسَفْكَ الدِّماءِ بغيرِ حِلِّها، فمَنِ اقتصرَ على ما أُبيحَ له مِنْ ذلكَ فهو مؤمنٌ، ومَنْ تعدَّى ذلك إلى ما مَنَعَ اللهُ منه فهوَ الشُّحُّ المذمومُ[1]، وهوَ مُنافٍ للإيمانِ، ولهذا أخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ الشُّحَّ يأمُرُ بالقَطيعةِ وبالفُجورِ وبالبُخْلِ.

والبُخْلُ: هوَ إمساكُ الإنسانِ ما في يدِه.

والشُّحُّ: تناولُ ما ليسَ له ظُلْماً وعُدْواناً مِنْ مالٍ أوْ غيرِه، حتَّى قيلَ: إنَّ المعاصي كلَّها مِنَ الشُّحِّ، وبهذا فسَّرَ ابنُ مسعودٍ وغيرُه مِنَ السَّلَفِ: الشُّحَّ والبخل[2].

ومِنْ هنا يُعْلَم[3] معنى حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا يجتمِعُ الشُّحُّ والإيمانُ في قلبِ مؤمن»[4].

---

(١) في حاشية (ع): «أي فهو الشحيح المذموم وفيه مبالغة».

(٢) في (ف) و(ك): «بالبخل». و(ع) كانت موافقة لما أثبتناه، ثم ضرب الناسخ على الواو وأثبت الباء. ولا يستقيم إثباتها.

وقد وردت الآثار بهذا المعنى عن عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عمر، وابن عمرو، من الصحابة رضي الله عنهم، وعن الحسن، وطاوس، وسعيد بن جبير من التابعين رحمهم الله. وينظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] في «الدر المنثور» للسيوطي (١٤/ ٣٧١) وسائر كتب التفسير بالمأثور.

(٣) في (ف): «نعلم»، وفي (ز): «تعلم».

(٤) في (ك) و(ز) و(ع): «مسلم». =

والحديثُ الآخَرُ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «أفضلُ الإيمانِ: الصَّبْرُ والسَّماحةُ»[١].

وفُسِّرَ الصَّبْرُ بالصَّبْرِ عنِ المحارمِ، والسَّماحةُ بأداءِ الواجباتِ.

وقدْ يُستعمَلُ الشُّحُّ بمعنى البُخْلِ وبالعكسِ، لكنَّ الأصلَ هوَ التَّفريقُ بينهما على ما ذكَرْنا[٢].

ومتى وصَلَ الحِرْصُ على المالِ إلى هذه الدَّرَجةِ نقَصَ بذلك الدِّينُ والإيمانُ نَقْصاً بَيِّناً، فإنَّ مَنْعَ الواجباتِ وتناولَ المحرَّماتِ ينقُصُ بهما الدِّينُ والإيمانُ بلا ريبٍ، حتَّى لا يبقى منه إلَّا القليلُ جدًّا.

[الحرص على الشرف والجاه]

فصلٌ

وأمَّا حِرْصُ المرءِ على الشَّرَفِ فهوَ أشدُّ إهلاكاً مِنَ الحِرْصِ على المالِ، فإنَّ طلَبَ شرَفِ الدُّنيا والرِّفعةِ فيها والرِّياسةِ على النَّاسِ والعُلُوِّ في الأرضِ أَضَرُّ على العبدِ مِنْ طلَبِ المالِ، وضررُه أعظمُ، والزُّهدُ فيه أصعبُ، فإنَّ المالَ يُبْذَلُ في طلَبِ الرِّياسةِ والشَّرَفِ.

= والحديث باللفظ المثبت هو من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة عند الطبراني في «الأوسط» (٥٨٧٨).

ورواه غير أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ: «عبد» عند النسائي (٣١١٠)، وبلفظ «في جوف رجل مسلم» عند أحمد (٩٦٩٣).

والإيمان في هذا الحديث يراد به الإيمان الكامل.

(١) هذا اللفظ أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٣٤٤) من حديث الحسن مرسلًا.

(٢) في (ك): «الأصل التفريق بينهما على ما ذكرناه».

[طلب الشرف بالدنيا]

والحِرْصُ على الشَّرَفِ قِسْمانِ:

أحدُهما: طلَبُ الشَّرَفِ بالولايةِ والسُّلطانِ والمالِ، وهذا خطِرٌ جدًّا، وهوَ في الغالبِ يمنَعُ خيرَ الآخرةِ وشرَفَها وكرامتَها وعزَّها.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

[النهي عن طلب الإمارة]

وقَلَّ: مَنْ حرَصَ على رياسةِ الدُّنيا بطلَبِ الولاياتِ أنْ[1] يُوَفَّقَ، بلْ يُوكَلُ إلى نفْسِه؛ كما قالَ النَّبيُّ ﷺ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ سمُرةَ: «يا عبدَ الرَّحمنِ! لا تَسْأَلِ الإمارةَ، فإنَّكَ إنْ أُعْطيتَها عنْ مسألةٍ وُكِلْتَ إليها، وإنْ أُعطيتَها عنْ[2] غيرِ مسألةٍ أُعِنْتَ عليها»[3].

قالَ بعضُ السَّلَفِ: ما حرَصَ أحدٌ على ولايةٍ فعدَلَ فيها[4].

وكانَ يزيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مَوْهبٍ مِنْ قُضاةِ العَدْلِ والصَّالحينَ، وكانَ يقولُ: مَنْ أحبَّ المالَ والشَّرَفَ وخافَ الدَّوائرَ[5] لمْ يَعْدِلْ[6].

---

(١) في (ك) و(ز) و(ع): «وقيل من حرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات لم يوفق». وأشير إلى ما أثبتناه في حواشي (ك) و(ع).

(٢) في سائر النسخ «من»، والمثبت من (ز)، وهو الأوفق الموافق لمصادر التخريج.

(٣) أخرجه البخاري في عدة مواضع، وهذا اللفظ في (٧١٤٦)، ومسلم (١٦٥٢).

(٤) أخرج نحوه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢١٥)، والخلال في «السنة» (٧٤) من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) الدوائر: نوائب الدهر وتقلباته.

(٦) أخرجه أبو زرعة في «تاريخه» (١/ ٢٠٦)، ووكيع في «أخبار القضاة» (ص: ٥٩)، ومن طريق =

وفي «صحيحِ البخاريِّ» عنْ أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّكمْ ستحرِصون على الإمارةِ، وستكونُ ندامةً يومَ القيامةِ، فنِعْمَ المُرْضِعةُ، وبئسَتِ الفاطِمةُ»(١).

وفيه أيضاً عنْ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه أنَّ رجلينِ قالا للنَّبيِّ ﷺ: يا رسولَ اللهِ! أَمِّرْنا، فقالَ: «إنَّا لا نولِّي أمْرَنا هذا مَنْ سألَه، ولا مَنْ حرَصَ عليه»(٢).

واعلمْ أنَّ الحِرْصَ على الشَّرَفِ بطَلَبِ الولاياتِ يستلزمُ شرًّا(٣) عظيماً قبلَ وقوعِه بالسَّعْيِ في أسبابِه، وبعدَ وقوعِه بالخَطَرِ العظيمِ الَّذي يقعُ فيه صاحبُ الولايةِ مِنَ الظُّلْمِ والتَّكَبُّرِ وغيرِ ذلكَ مِنَ المفاسدِ.

[من أوصاف عالم السوء]

وقدْ صنَّفَ أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ ـ وكانَ مِنَ العلماءِ الرَّبَّانيِّينَ في أوائلِ المائةِ الرَّابعةِ ـ مُصنَّفاً في أخلاقِ العُلماءِ وآدابِهم(٤)، وهوَ مِنْ أجلِّ ما صُنِّفَ في ذلكَ، ومَنْ تأمَّلَه عَلِمَ(٥) منه طريقةَ السَّلَفِ مِنَ العُلماءِ، والطَّرائقَ الَّتي حدَثَتْ(٦) بعدَهم المخالفةَ لطرائقِهم، فوصَفَ فيه عالِمَ السُّوءِ بأوصافٍ طويلةٍ:

= الأول ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٢٧٢). وكان يزيد قاضياً بفلسطين في زمان بني أمية.

(١) أخرجه البخاري في «الأحكام» (٧١٤٨). وفي حاشية (ع): «ضرب المرضعة مثلًا للإمامة، وما توصله إلى صاحبها من المنافع، وضرب الفاطمة مثلاً للموت الذي يهدم عليه لذاته، ويقطع منافعها دونه. نهاية».

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

(٣) في (ف): «ضرراً». وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع).

(٤) وهو كتاب «أخلاق العلماء»، مطبوع متداول.

(٥) في (ك) و(ع): «تعلّم»، وفي (ز): «يعلم».

(٦) في (ف): «أحدثت».

منها: أنَّه قالَ: «قدْ فتنَه حبُّ المالِ[١] والشَّرَفِ والمنزلةِ عندَ أهلِ الدُّنيا، يتجمَّلُ بالعلمِ كما يتجمل بالحُلَّةِ الحسناءِ للدُّنيا، ولا يُجَمِّلُ عِلْمَه بالعملِ به»[٢].

وذكرَ كلاماً طويلاً إلى أنْ قالَ: فهذه الأخلاقُ وما يُشْبِهُها تغلِبُ على قلبِ مَنْ لمْ ينتفِعْ بالعلمِ، فبينا هوَ مقارنٌ[٣] لهذه الأخلاقِ إذْ رغَّبَتْه نفسُه في حُبِّ الشَّرَفِ والمنزلةِ، فأحبَّ مجالسةَ الملوكِ وأبناءِ الدُّنيا، فأحبَّ أنْ يُشارِكَهمْ فيما همْ فيه مِنْ رَخِيِّ عَيْشِهمْ؛ مِنْ منزلٍ بَهِيٍّ، ومَرْكَبٍ هَنِيٍّ، وخادمٍ سَرِيٍّ[٤]، [٥]ولباسٍ لَيِّنٍ، وفِراشٍ ناعمٍ، وطَعامٍ شَهِيٍّ، وأحبَّ أنْ يُغْشى[٦] بابُه، وأنْ يُسْمَع[٧] قولُه، ويُطاعَ أمرُه، فلمْ يَقْدِرْ عليه إلَّا مِنْ جِهَةِ القضاءِ فطلَبَه، فلمْ يُمَكَّنْهُ إلَّا ببَذْلِ دينِه، فتذلَّلَ للملوكِ وأتباعِهم، فخَدَمَهُمْ[٨] بنفسِه، وأكرمَهُمْ بمالِه، وسَكَتَ عنْ قبيحِ ما ظهَرَ مِنْ مناكِرِهمْ على أبوابِهم وفي منازلِهم ومِنْ[٩] قولِهمْ وفِعْلِهمْ.

---

(١) في (ف)، وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع): «حب الثناء».

وفي «أخلاق العلماء»: «حب الدنيا والثناء والشرف».

(٢) «أخلاق العلماء» للآجري (ص: ١٠٠) من طبعة الشيخ إسماعيل الأنصاري. اللوحة ٢٨ من نسخة عاشر أفندي].

(٣) من (ك) موافقاً لما في «أخلاق العلماء».

وفي (ف) و(ع) و(ض): «مقارب»، وفي (ز): «مقارف».

(٤) في حواشي (ع): «مركب هني: أي لا يتعب راكبه، قال في النهاية: كل أمر يأتيك من غير تعب فهو هنيء. هذا هو الأقرب، ونقل فيه وجهاً». «سري: نفيس».

(٥) هنا يبتدئ الموجود من النسخة (ت).

(٦) في حاشية (ع): يغشى «أي يؤتى».

(٧) في (ك) و(ز): «يُستمع».

(٨) في (ز): «وخدامهم».

(٩) «من» لا توجد في (ف)، وكذلك ليست في «أخلاق العلماء».

ثـمَّ زيَّـنَ لهـم كثيـراً مِـنْ قبيـحِ أفعالِهـمْ بتأويلِـه[١] الخَطَـأَ؛ ليحَسِّـنَ موقِعَـه عندهُـمْ، فلمَّا فعـلَ هذا مُدَّةً طويلةً، واستحكمَ فيه الفَسـادُ ولَّوْهُ القضـاءَ، فذُبِحَ بغيرِ سِـكِّينٍ، فصـارَتْ لهـم عليه مِنَّـةٌ عظيمةٌ، ووجَـبَ عليه شُـكْرُهُمْ، فألْزَمَ نفسَـه ذلكَ؛ لئـلَّا يغضبهم[٢] عليـه، فيَعْزِلوه عـنِ القضاءِ، ولـمْ يلتفِـتْ إلى غضَبِ مـولاهُ، فاقتطَعَ أمـوالَ اليتامـى والأراملِ والفُقراءِ والمسـاكينِ، وأمـوالَ الوَقْفِ[٣] علـى المجاهدينَ وأهـلِ الشَّـرَفِ وبالحرمينِ[٤]، وأمـوالاً يَعُـودُ نَفْعُها على جميعِ المسـلمينَ، فأرضى بهـا الكاتـبَ والحاجـبَ والخـادمَ، فـأكلَ الحـرامَ، وأطعـمَ الحـرامَ، وكثُـرَ الدَّاعـي عليـه، فالويلُ لِمَـنْ أورَثَـه عِلْمُه هـذه الأخلاقَ.

هـذا العِلْـمُ[٥] الَّذي استعاذَ منه النَّبـيُّ ﷺ، وأمَرَ أنْ يُستعاذَ منه، وهـذا العالـمُ[٦] الَّـذي قـالَ فيـه عليه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ: «إنَّ أشـدَّ النَّـاسِ عذاباً يـومَ القيامـةِ عالـمٌ لـمْ ينفَعْـهُ اللهُ بعلمِه»[٧].

---

(١) من (ك)، وهو الموافق لما في «أخلاق العلماء»، وفي سائر النسخ: «بتأوّله».

(٢) في (ك) و(ز) و(ع): «يغيظهم».

(٣) في حاشية (ك) موافقاً لما في «أخلاق العلماء»: «الوقوف».

(٤) سقطت الواو من النسخ إلا (ك)، والمعنى: وأموال الوقوف بالحرمين.

(٥) في (ك): «العالم» موافقاً لما في «أخلاق العلماء»، وما أثبتناه من سائر النسخ هو الأوفق للسياق.

(٦) تصحفت في النسخ إلى «العلم» إلا في (ك).

(٧) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٠٧)، والآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٤٢) باللفظ الذي أورده ابن رجب، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (ص: ٢١٤) وقال: «وهو حديث انفرد به عثمان البري لم يرفعه غيره، وهو ضعيف الحديث معتزلي المذهب فيما ذكره، ليس حديثه بشيء».

وكانَ ﷺ يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لا ينفَعُ، ومِنْ قلبٍ لا يخشَعُ، ومِنْ نفْسٍ لا تشبَعُ، ومِنْ دعاءٍ لا يُسْمَعُ»(١).

وكانَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألكَ عِلْماً نافعاً، وأعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لا ينفَعُ»(٢).

هذا كلُّه كلامُ الإمامِ أبي بكرٍ الآجُرِّيِّ رحِمَهُ اللهُ تعالى، وكانَ في أوائل(٣) الثَّلاثمائةِ(٤)، ولمْ يزَلِ الفسادُ بعده يتزايدُ على ما ذكرَه أضعافاً مُضاعفةً، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ.

ومِنْ دقيقِ آفاتِ حُبِّ الشَّرَفِ: [حبُّ الشَّرفِ] بطلبِ(٥) الولاياتِ والحرصِ عليها، وهوَ بابٌ غامِضٌ لا يعرِفُه إلَّا العُلماءُ باللهِ تعالى، العارفونَ به، المحبُّون له،

---

(١) أخرجه الآجري بسنده في «أخلاق العلماء» (ص: ١٢٣). وهو عند النسائي (٥٥٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الآجري بسنده في «أخلاق العلماء» (ص: ١٢٣ ـ ١٢٤) والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٨١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

إلى هنا ينتهي كلام الإمام الآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ١٢٤) من مطبوعة الشيخ إسماعيل الأنصاري، وهذا خاتمة كتابه.

(٣) في (ت) و(ف) و(ك): «أواخر»، وفي (ز) و(ض): «أوائل»، وفي (ع): «أوائل» ثم ضرب عليها، وأثبت لحقاً: «أواخر». وما أثبتناه هو الواقع، فإنه عاش في النصف الأول من القرن الرابع بعد الثلاث مئة.

(٤) وهو الإمام الحافظ صاحب التصانيف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، البغدادي، نزيل مكة المشرفة، المتوفى بها سنة ٣٦٠ رحمه الله تعالى.

(٥) «بطلب»: هكذا في جميع النسخ، وهو مشكل، لذلك كتب في حاشية (ع): «هذا خبر مقدّم يُنظر مبتدؤه». لذلك أضفت قبله ما بين معقوفين ليستقيم الكلام.

الَّذينَ يَغارونَ له مِنْ جهالة[١] خَلْقِه المزاحمينَ لربوبيَّته وإلهيَّته معَ حقارتِهم وسَقْطِ[٢] منزلَتِهِمْ عندَ اللهِ تعالى وعندَ خواصِّ عبادِه العارفينَ به.

كما كان الحسنُ رحِمَهُ اللهُ يقول فيهمْ[٣]: إنَّهم وإنْ طَقْطَقَتْ[٤] بهمُ البِغالُ، وهَمْلَجَتْ[٥] بهمُ البَراذينُ[٦]، فإنَّ ذُلَّ المعصيةِ في رقابِهم، أبى اللهُ إلَّا أنْ يُذِلَّ مَنْ عصاهُ[٧].

واعلمْ[٨] أنَّ حُبَّ الشَّرَفِ بالحِرْصِ على نفوذِ الأمرِ والنَّهيِ وتدبيرِ أمورِ[٩] النَّاسِ

---

(١) في (ت) و(ف) و(ض) وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع): «يعادون». وفي (ت) و(ف) وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع): «جُهَّال».

(٢) في (ك): «سقوط».

(٣) في (ز) و(ض): «كما قال الحسن رحمه الله تعالى فيهم».

(٤) في حاشية (ع): «أي صوتت نعال البغال إذا مشت مع صاحبها».

(٥) في حاشية (ع): «أي سارت بهم السير المعبر عنه بالهملجة، وهي مشي سهل كالرهوجة»، كما في «المغرب». «المُغْرِب في ترتيب المعرِب»، لناصر الدين المطرزي (٢/ ٣٨٨).

(٦) في حاشية (ع): «جمع بِرْذَون وهو معروف» وهو ما ليس بعربي من الخيل والبغال.

(٧) بهذا اللفظ ذكره المصنف أيضاً في «شرح حديث بعثت بالسيف». وذكره ابن تيمية وكذلك ابن القيم رحمهما الله تعالى في عدد من مصنفاتهما.

وقد أخرج أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤٩) نحوه عن الحسن بلفظ: «أما والله لئن تدقدقت بهم الهمالِج، ووطئت الرجال أعقابهم، إن ذل المعاصي لفي قلوبهم، ولقد أبى الله أن يعصيه عبد إلا أذله».

وذكر ابن عبد ربه نحواً منه في «العقد الفريد» (٣/ ١٥٣)، وابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٣٩٤) بنحو آخر.

(٨) «واعلم» سقطت من (ز) و(ض) وألحقت في (ع).

(٩) في (ت) و(ف) و(ض): «أمر».

إذا كانَ القَصْدُ بذلكَ مجرَّدَ عُلُوِّ المنزلةِ على الخَلْقِ، والتَّعاظُمِ عليهم، وإظهارِ صاحبِ هذا الشَّرَفِ حاجةَ النَّاسِ إليه وافتقارِهِمْ إليه[1]، وذُلِّهِمْ له في طلَبِ حوائِجِهِمْ منه، فهذا نَفْسُهُ مزاحِمَةٌ لربوبيَّةِ اللهِ تعالى وإلهيَّتِهِ، ورُبَّما تسبَّبَ بعضُ هؤلاءِ إلى إيقاعِ النَّاسِ في أمرٍ يحتاجون فيه إليهِ؛ لِيضطَرَّهمْ بذلكَ إلى رَفْعِ حاجاتِهم إليه، وظهورِ فَقْرِهِمْ واحتياجِهِمْ إليهِ، ويتعاظَمُ بذلكَ ويتكبَّرُ به، وهذا لا يصلُحُ إلَّا للهِ تعالَى وحدَه لا شريكَ له.

[التضرع خاص بالله لا ينبغي للخلق أن يُلجأ إليه]

كما قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وفي بعضِ الآثارِ: إنَّ اللهَ تعالى لَيبتلي عبدَه بالبلاءِ لِيَسْمَعَ تضرُّعَه[2].

---

(١) «وافتقارهم إليه» سقطت من (ز) وألحقت في (ع).

(٢) رواه أبو وائل عن كردوس بن عمرو التغلبي، وكان يقرأ الكتب السابقة، ويَحكي عن التوراة والإنجيل، وهو من المخضرمين.

أخرجه البغوي في «الجعديات» (٧٩)، وأبو حاتم في «الزهد» (٣٤)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٤٠)، و«الفرج بعد الشدة» (٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٣٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٩٠٧).

ومن وجه آخر عن أبي وائل: ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٩٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٥٧).

وقصَّر به بعضهم فوقفه على عمرو بن مرة ـ أحد رواته عن أبي وائل ـ عند الطبراني في «الأوسط» (١٢٤٥).

وسلك بعضهم الجادة، فرواه عن أبي وائل عن ابن مسعود، عند الطبراني في «الأوسط» (١٢٤٦)، والبيهقي (٩٣٢٩).

والأولى قال عنها البيهقي: «هذا أصح». =

وفي بعضِ الآثارِ أيضاً: أنَّ العبدَ إذا دعا اللهَ تعالى وهوَ يحبُّهُ قالَ الله تعالى: يا جبريلُ! لا تَعْجَلْ بقضاءِ حاجَتِه، فإنِّي أحبُّ أنْ أسمَعَ تضرُّعَه[1].

فهذه الأمورُ أصعبُ وأخطرُ مِنْ مجرَّدِ الظُّلْمِ، وأدهى من[2] الشِّرْكِ، والشِّرْكُ أعظمُ الظُّلْمِ عندَ اللهِ.

وفي «الصَّحيحِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: [يقول الله تعالى][3] «الكِبْرِياءُ رِدائي، والعظَمَةُ إزاري، فمَنْ نازَعَني فيهما[4] عذَّبْتُه»[5].

= وروي عن شقيق عن كردوس. أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٩٠٦)، وفي «الحلية» (٤/ ١٨٠)، ولعله راجع إلى حديث أبي وائل.

وقد روي هذا المعنى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٤٠٥)، والبيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٩٣٣١).

تنبيه: وقع في مطبوعة «الجامع لشعب الإيمان» (مكتبة الرشد) (١٢/ ٢٣٧)، «وكان يقرأ الكتب فلا يجد فيما نقرأ من الكتب» وصوابه: «وكان يقرأ الكتب، قال: نجد فيما نقرأ من الكتب».

(١) ذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٤٠٣) دون عزو.

أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٧) موقوفاً على ثابت البناني.

وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٨٧)، وفي «الأوسط» (٨٤٤٢) من حديث جابر بن عبد الله.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٢٤٤)، وعبد الغني المقدسي في «الترغيب في الدعاء» (٥١) من حديث جابر بن عبد الله وأنس بن مالك.

كلهم من طريق إسحاق بن أبي فروة وهو متروك، فلعله سرقه ورفعه. وفي حاشية (ع): «يفهم من الأثر أن جبريل موكل بقضاء الحاجات، وأن التأخير قد يكون لمحبة الله ذا الحاجة».

(٢) في (ز): «مواقع»، وكانت كذلك في (ع) فضرب عليها، وأثبت «من».

(٣) من (ر) وحدها، وفي (ض): قال الله.

(٤) في (ت) و(ف): «في واحد منهما».

(٥) هذا اللفظ لا يوجد في الصحيح، وإنما هو من حديث أبي سعيد وأبي هريرة في «مستخرج أبي =

كانَ بعضُ المتقدِّمينَ قاضياً، فرأى في منامِه كأنَّ قائلاً يقولُ: أنتَ قاضٍ، واللهُ قاضٍ! فاستيقظَ مُنْزَعِجاً، وخرجَ عن القضاءِ، وتركه[1].

[المنع من عبارة قاضي القضاة وحاكم الحكام]

وكانَ طائفةٌ مِنَ القُضاةِ الورِعينَ يمنعونَ النَّاسَ أنْ يدعوهم بـ«قاضي القُضاةِ»، فإنَّ هذا الاسمَ يُشْبِهُ «ملِكَ الملوكِ» الَّذي ذمَّ النَّبيُّ ﷺ التَّسميَةَ بهِ[2]

= عوانة» على «صحيح مسلم» (١١٤٤١) حديث قدسي، والذي في صحيح مسلم (٢٦٢٠) قال ﷺ: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته». ومخرج اللفظين واحد! وهو في السنن من طريق آخر.

(١) في (ك) و(ع) و(ز): «وترك القضاء».

ذكر القرشي في «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٣٨٨) عن القاضي أبي مسلم عبد الرحمن بن عمر التيمي السمناني أنه خرج إلى الموصل، قال: «فأقمت بها أربعين سنة، ووليت القضاء بها خمس عشرة سنة، ثم تبت عنه توبة، وذلك أني رأيت في النوم قائلاً يقول لي: «الله قاضٍ وأنت قاضٍ!! فاستعفيت». توفي سنة ٤٩٧ رحمه الله تعالى.

(٢) قال المصنف رحمه الله في ترجمة الإمام أبي محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي البغدادي، المتوفى سنة ٤٨٨ رحمه الله تعالى، من كتابه «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ١٩١ ـ ١٩٣): «وذكر ابن الجوزي في «تاريخه» أن جلال الدولة أمَرُهُ: أن يكتب: «شاهنشاه الأعظم»، «ملك الملوك»، وخُطِب له بذلك. فنفر العامة، ورجموا الخطباء، ووقعت فتنة، وذلك سنة تسع وعشرين وأربعمئة.

فاستفتي الفقهاء:

فكتب الصيمري: أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية.

وكتب أبو الطيب الطبري: أن إطلاق «ملك الملوك» جائز، ويكون معناه: ملك ملوك الأرض، وإذا جاز أن يقال: «قاضي القضاة»، و«وكافي الكفاة» جاز أن يقال: «ملك الملوك».

وكتب التميمي نحو ذلك. =

= وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني أن القاضي الماوردي منع من جواز ذلك.

قال ابن الجوزي: والذي ذكره الأكثرون هو القياس إذا قُصد به ملوك الدنيا، إلا أني لا أرى إلا ما رآه الماوردي، لأنه قد صح في الحديث ما يدل على المنع، لكنهم عن النقل بمعزل!

ثم ساق حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين.

وابنُ الجوزي وافق على جواز التسمية بـ«قاضي القضاة» ونحوه، وقد ذكر شيخنا أبو عبد الله ابن القيم قال: وقال بعض العلماء: وفي معنى ذلك ـ يعني ملك الملوك ـ كراهية التسمية بـ«قاضي القضاة»، و«حاكم الحكام» فإن حاكم الحكام في الحقيقة هو الله تعالى.

وقد كان جماعة من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ «قاضي القضاة» و«حاكم الحكام» قياساً على ما يبغضه الله ورسوله من التسمية بـ«ملك الأملاك» وهذا محض القياس».

قلت: وكان شيخنا أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي ـ قاضي قضاة الديار المصرية، وابن قاضيها ـ يمنع الناس أن يخاطبوه بـ«قاضي القضاة» أو يكتبوا له ذلك، وأمرهم أن يبدلوا ذلك بـ«قاضي المسلمين» وقال: إن هذا اللفظ مأثور عن علي رضي الله عنه.

يوضح ذلك: أن التلقيب بـ«ملك الملوك» إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم، وكذلك كان المجوس يسمون قاضيهم «موبَذْ مُوبَذان» يعنون بذلك: «قاضي القضاة» فالكلمتان من شعائرهم، ولا ينبغي التسمية بهما، والله أعلم». اهـ.

انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي «حوادث سنة ٤٢٩)، وقد لخص المصنف ابن رجب ما ذكره ابن الجوزي.

وكلام ابن القيم في «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص: ١١٥)، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» (٢/ ٣١١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه «أخنع اسم عند الله ـ أو أخنع الأسماء عند الله ـ رجل تسمى بملك الأملاك». أخرجه البخاري (٦٢٠٦) ومسلم (٢١٤٣)، وقال ابن حجر في شرحه:

«ومن النوادر أن القاضي عز الدين ابن جماعة قال: إنه رأى أباه في المنام فسأله عن حاله؟ فقال: ما كان عليَّ أضر من هذا الاسم. فأمر الموقعين أن لا يكتبوا له في السجلات قاضي القضاة بل قاضي المسلمين. وفَهِمَ من قول أبيه أنه أشار إلى هذه التسمية مع احتمال أنه أشار إلى الوظيفة، بل =

وقالَ: «لا مَلِكَ إلَّا اللهُ»[١]، و«حاكمُ الحُكَّامِ» مثلُه أوْ أشدُّ منه.

[ذم طلب الحمد على الفعل الجميل]

ومِنْ هذا البابِ أيضاً: أنْ يُحِبَّ ذو الشَّرَفِ والولايةِ أنْ يُحْمَدَ على أفعالِه ويُثْنى عليه بها[٢]، ويطلُبَ مِنَ النَّاسِ ذلكَ، ويتسبَّبَ في أذى[٣] مَنْ لا يجيبه إليه[٤]، وربَّما كانَ ذلكَ الفِعْلُ إلى الذَّمِّ أقْرَبَ منه إلى المدحِ، وربَّما أظهرَ أمراً حسَناً في الظَّاهِرِ وأحبَّ المدحَ عليه، وقصَدَ به في الباطنِ شرًّا، وفرِحَ[٥] بتمويهِ ذلكَ وترويجِه على الخَلْقِ، وهذا يدخُلُ في قولِه تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، فإنَّ هذه الآيةَ إنَّما نزَلَتْ فيمَنْ هذه صفتُه، وهذه الصفةُ[٦] ـ أعني: طلَبَ المدحِ مِنَ الخَلْقِ ومحبَّتَه والعقوبةَ على تَرْكِه ـ لا تصلُحُ إلَّا للهِ وحدَه لا شريكَ لهُ.

= هو الذي يترجح عندي، فإن التسمية بقاضي القضاة وجدت في العصر القديم من عهد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة. وقد منع الماوردي من جواز تلقيب الملك الذي كان في عصره بملك الملوك مع أن الماوردي كان يقال له: أقضى القضاة! وكأن وجه التفرقة بينهما الوقوف مع الخبر، وظهور إرادة العهد الزماني في القضاة». اهـ.

ولخص ابن حجر كلام ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٤/ ١٨٥): «يلتحق بملك الأملاك: قاضي القضاة، وإن كان اشتهر في بلاد الشرق من قديم الزمان إطلاق ذلك على كبير القضاة. وقد سَلِمَ أهل المغرب من ذلك، فاسم كبير القضاة عندهم: «قاضي الجماعة». اهـ.

(١) هذه الزيادة عند مسلم (٢١٤٣).

(٢) في (ت) و(ف): «ويُثنى عليها».

(٣) في (ز) و(ع) و(ك): «إلى أذى».

(٤) في (ز): «من لم يجبه إليه».

(٥) في (ت) و(ف) و(ض): «وقصد». سبق نظر.

(٦) في (ز): «صفة».

ومِنْ هنا كانَ أئمَّةُ الهدى ينهونَ عنْ حَمْدِهمْ[١] على عَدْلِهم وما يصدرُ منهمْ مِنَ الإحسانِ إلى الخَلْقِ، ويأمرونَ بإضافةِ الحَمْدِ على ذلكَ إلى اللهِ تعالى وحدهُ لا شريكَ له[٢]، فإنَّ النِّعَمَ كلَّها منه.

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ شديدَ العنايةِ بذلكَ، وكتبَ مرَّةً إلى أهلِ الموسمِ كتاباً يُقرَأُ عليهمْ، وفيهِ الأمرُ بالإحسانِ إليهمْ، وإزالةِ مظالمَ كانتْ عليهمْ.

وفي الكتابِ: ولا تحمَدوا على ذلكَ كلِّه إلَّا اللهَ، فإنَّه لوْ وكَلَني إلى نفسي كنتُ كغيري[٣].

[قصة عمر بن عبد العزيز مع المرأة]

وحِكايتُه معَ المرأةِ الَّتي طلَبَتْ منه أنْ يفرِضَ لبناتِها اليتامى مَشْهورةٌ، فإنَّها كانتْ لها أربعُ بناتٍ، ففرَضَ لابنتَينِ منهنَّ وهيَ تحمَدُ اللهَ، ثمَّ فرَضَ للثَّالثةِ فشَكَرَتْه، فقالَ: إنَّما كُنَّا نفرِضُ لهنَّ حيثُ كنتِ تولينَ الحمدَ أهلَه، فمُرِي هؤلاءِ الثَّلاثَ يُواسينَ الرَّابعةَ. أوْ كما قالَ رحمه الله[٤].

وحاصِلُ الأمرِ[٥]: أنْ يُعْرَفَ أنَّ ذا الولايةِ إنَّما هوَ مُتَنَصِّبٌ لتنفيذِ أمرِ اللهِ تعالى وأمرِ العِبادِ بطاعةِ اللهِ تعالى، وناهٍ لهمْ عنْ محارمِ اللهِ، ناصحٌ لعبادِ اللهِ بدُعائِهم

---

(١) في (ع): «مضاف إلى المفعول».

(٢) «وحده لا شريك له» من (ف) و(ض) و(ر).

(٣) أخرجه بتمامه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٢).

(٤) قصة مشهورة ذكرها ابن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص: ١٤٩) وفيه أن البنات كنَّ خمساً.

(٥) في (ت) و(ف): «والمقصود».

إلى اللهِ، فهو يقصِدُ أنْ يكونَ الدِّينُ كلُّه للهِ، وأنْ تكونَ العزَّةُ للهِ[١]، وهوَ معَ ذلكَ خائِفٌ مِنَ التَّقْصيرِ في حقوقِ اللهِ.

وأيضاً فالمحِبُّونَ[٢] للهِ غايةُ مقاصِدِهمْ مِنَ الخَلْقِ أنْ يُحِبُّوا اللهَ ويُطيعوه ويُفرِدوه[٣] بالعُبُوديَّةِ والإلهيَّةِ، فكيفَ يُزاحِمونه في شيءٍ مِنْ ذلكَ؟ فهوَ لا يُريدُ مِنَ الخَلْقِ جزاءً ولا شُكوراً، وإنَّما يرجو ثوابَ عمَلِه[٤] مِنَ اللهِ؛ كما قالَ الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارى المسيحَ عيسى[٥] ابنَ مريمَ، فإنَّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه»[٦].

وكانَ ﷺ يُنكِرُ على مَنْ لا يتأدَّبُ معه في الخِطابِ بهذا الأدَبِ؛ كما قالَ: «لا تقولوا: ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمَّدٌ، بلْ قولوا: ما شاءَ اللهُ ثمَّ شاءَ محمَّدٌ»[٧].

---

(١) سقط من (ف) و(ض) من قوله: «وناهٍ لهم» إلى هنا.

(٢) في (ك) و(ز): «فإن المحبين».

(٣) في (ت) و(ف) و(ض): «ويعرفوه».

(٤) تصحفت في (ف) و(ض) إلى: «علمه».

(٥) لم تذكر «عيسى» في (ت) و(ف) و(ض)، وليس في البخاري «المسيح».

(٦) أخرجه مختصراً البخاري في «أحاديث الأنبياء» (٣٤٤٥)، ومطولاً في «الحدود» (٦٨٣٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي حاشية (ع): «الإطراء في المدح: الغلو فيه وتجاوز حده».

(٧) هذا اللفظ أخرجه الدارمي (٢٧٤١) وأخرجه بنحوه الإمام أحمد (٢٠٦٩٤)، وابن ماجه في «الكفارات» (٢١١٨) وغيرهما من حديث طفيل بن سخبرة رضي الله عنه.

وقالَ لِمَنْ قالَ له: ما شاءَ اللهُ وشئتَ: «أجَعَلْتَني واللهَ عدلاً[١]، بلْ ما شاءَ اللهُ وحدَه»[٢].

فمِنْ هنا كانَ خُلفاءُ الرُّسُلِ وأتباعُهمْ مِنْ أمراءِ العَدْلِ وقُضاتِهمْ لا يَدْعونَ إلى تعظيمِ نفوسِهمْ ألبتَّةَ، بلْ إلى تعظيمِ اللهِ وحدَه، وإفرادِه بالعُبوديَّةِ والإلهيَّةِ.

ومنهمْ مَنْ كانَ لا يُريدُ الوِلايةَ إلَّا للاستعانةِ بها على الدَّعوةِ إلى اللهِ وحدَه.

فكان بعضُ الصَّالحينَ يتولَّى القضاءَ ويقولُ: أنا أتولَّاهُ لأستعينَ به على الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المنكرِ[٣].

ولهذا كانتِ الرُّسُلُ عليهم السَّلامُ وأتباعُهمْ يصبِرونَ على الأذى في الدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى، ويتحمَّلون في تنفيذِ أوامرِ اللهِ مِنَ الخَلْقِ غايةَ المشقَّةِ وهُمْ صابرونَ، بلْ راضونَ بذلكَ، فإنَّ المُحِبَّ رُبَّما يتلذَّذ[٤] بما يُصيبُه مِنَ الأذى في رضى محبوبِه.

كما[٥] كانَ عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ يقولُ لأبيهِ في خلافتِه إذا

---

(١) سبق نظر ناسخ (ك) فلم يكتب الحديث، والمثبت من (ز)، وفي (ت): «جعلتني لله عدلاً»، وفي (ف) و(ع): «أجعلتني لله عديلاً» وفي (ض): «أجعلتني لله عدلاً».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) ومن هؤلاء الإمام القاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي، المتوفى ٥٤٣ رحمه الله تعالى قال في كتابه «العواصم من القواصم» (ص: ٢٩٧): «ولقد حكمت بين الناس، فألزمتهم الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لم يكن يرى في الأرض منكر».

(٤) في (ك) و(ز) و(ع): «يلتذ».

(٥) «كما»: من (ف) و(ض).

حرَّضَه على تنفيذِ الحَقِّ وإقامةِ العَدْلِ: يا أبتِ! لوددتُّ أنَّه لوْ غلتْ بي وبكَ القُدورُ في اللهِ عزَّ وجلَّ[١].

وقالَ بعضُ الصَّالحينَ: وددتُّ أنَّ جسميَ قُرِضَ بالمقاريضِ وأنَّ هذا الخَلْقَ كُلَّهم أطاعوا اللهَ تعالى[٢]. فعُرِضَ قولُه على بعضِ العارفينَ فقالَ: إنْ كانَ[٣] أرادَ بذلكَ النَّصيحةَ للخَلْقِ وإلَّا فلا أدري.

ثمَّ غُشِيَ عليهِ[٤].

ومعنى هذا: أنَّ صاحبَ هذا القَوْلِ قدْ يكونُ لحَظَ نُصْحَ الخَلْقِ والشَّفَقَةَ عليهمْ مِنْ عذابِ اللهِ، فأحبَّ أنْ يفديَهمْ مِنْ عذابِ اللهِ بأذى نفسِه، وقدْ يكونُ لحَظَ جلالَ اللهِ وعظمَتَه وما يستحِقُّه مِنَ الإجلالِ والإكرامِ والطَّاعةِ والمحبَّةِ،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٢٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٤٦). ومن وجه آخر أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٥٤).
وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٤٧٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٥٠) من كلام زهير بن نعيم البابي أحد الزهاد العابدين. وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٢٣) و(٢/ ٢٥٥).

(٣) «كان»: من (ف) و(ض) ولا توجد في سائر النسخ.

(٤) سأل الروذباريُّ أبا عبد الله بن الجلاء الدمشقي عن كلام زهير، ما معناه؟ فأجاب: إن كان من طريق الإشفاق على الخلق والنصح فأعرف، وإن كان من طريق التعظيم والإجلال فلا أعرف. أخرجه أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٧٠). ونقله الغزالي في كتاب المحبة من «إحياء علوم الدين» (٦/ ١٠٧) وقال: «لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء: ويظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الأولياء».

فودَّ أنَّ الخَلْقَ قاموا له بذلكَ، وإنْ حصَلَ له في نفسِه غايةُ الضَّرَرِ[١].

وهذا هو مَشْهَدُ خواصِّ المحبِّينَ العارفينَ، وبملاحظتِه غُشِيَ على هذا الرَّجلِ العارفِ باللهِ رضي الله عنه.

وقدْ وصَفَ اللهُ المُحِبِّينَ له في كتابِه بأنَّهم يُجاهدون في سبيلِ اللهِ[٢]، ولا يخافونَ لَوْمةَ لائمٍ[٣].

وفي ذلكَ يقولُ بعضُهمْ:

أجِدُ الملامةَ في هواكَ لذيذةً ... حُبًّا لذِكْرِكَ فلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ[٤]

---

(١) قال المصنف رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٥٥):

«واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ـ تارةً يحمل عليه رجاءُ ثوابه.

ـ وتارةً خوفُ العقاب في تركه.

ـ وتارةً الغضب لله على انتهاك محارمه.

ـ وتارةً النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة.

ـ وتارةً يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، وأن يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال، كما قال بعض السلف: ـ وذكر قول عبد الملك بن عمر، وقول زهير البابي ـ».

(٢) في (ز) و(ض): «في كتابه المحبِّين له» وفي (ت) و(ف) و(ض): «في سبيله».

(٣) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

(٤) البيت لأبي الشيص الخزاعي الشاعر المتوفى سنة ١٩٦هـ كما في ديوانه (ص: ١٠٢). وفي (ف): «وليلمني».

[طلب الشرف بالدين]

القِسْمُ الثَّاني: طلَبُ الشَّرَفِ والعُلُوِّ على النَّاسِ بالأمورِ الدِّينيَّةِ؛ كالعِلْمِ والعَمَلِ والزُّهْدِ، فهذا أفحشُ مِنَ الأوَّلِ، وأقبحُ وأشدُّ فساداً وخَطَراً، فإنَّ العِلْمَ والعَمَلَ والزُّهْدَ إنَّما يُطْلَبُ بها الشَّرَفُ عندَ اللهِ، والقُرْبُ منه، والزُّلْفى لديه، ويُطْلَبُ بها ما عندَ اللهِ مِنَ الدَّرَجاتِ العُلى، والنَّعيمِ المُقيمِ لديه[1].

قالَ الثَّوريُّ: إنَّما فُضِّلَ العلمُ؛ لأنَّه يُتَّقى به اللهُ، وإلَّا كانَ كسائرِ الأشياءِ[2].

وإذا طُلِبَ بشيءٍ مِنْ هذا عرَضُ الدُّنيا الفاني، فهوَ أيضاً نوعانِ:

أحدُهما: أنْ يطلَبَ به المالُ، فهذا مِنْ نوعِ الحِرْصِ على المالِ، وطلَبِه بالأسبابِ المحرَّمةِ.

وفي هذا جاءَ الحديثُ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ تعلَّمَ عِلْماً مما يُبْتغى بهِ وجهُ اللهِ لا يتعلَّمُه إلَّا لِيُصيبَ به عرَضاً مِنَ[3] الدُّنيا لمْ يجِدْ عَرْفَ[4] الجنَّةِ يومَ القيامةِ[5]». يعني: ريحَها[6].

---

(١) وقع في النسخ في هذه الجمل تقديم وتأخير، واختلاف في الضمائر، والمثبت من (ك) و(ع).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٦٢) بنحوه، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٥٢). وعنده: «إنما يُطلب الحديث». وضبطت في (ت): «إنما فَضَل العلم».

(٣) في (ف) و(ض): «عرض الدنيا».

(٤) في حاشية (ز): «العَرْف ـ بفتح العين المهملة وسكون الراء ـ أي الريح، قيل: ومنه أصحاب الأعراف، لأنهم يجدون عَرْف الجنة اهـ من شرح صحيح البخاري، للبرماوي.

(٥) في حاشية (ع): «أي مَنْ شأنه ذلك كالعلوم الدينية، احترز به عن العلوم المتعلقة بالصنائع فإنه لا يضر أن يطلب بها الدنيا». لذلك فإن التكاثر والتباهي بالشهادات الجامعية فيما يتعلق بالعلوم الدينية يعرِّض فاعله إلى خطر شديد!

(٦) قوله: يعني: ريحها، تفسير من كلام سريج بن النعمان أحد رواة الحديث.

خرَّجَه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ وابنُ ماجهْ وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِه» مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ[١].

[الجنة المعجلة في الدنيا]

وسببُ هذا واللهُ أعلمُ: أنَّ في الدُّنيا جنَّةً مُعَجَّلَةً، وهيَ مَعْرِفةُ اللهِ تعالى ومحبَّتُه، والأنسُ[٢] بهِ، والشَّوْقُ إلى لقائِه، وخَشْيَتُه، وطاعتُه. والعلمُ النَّافعُ يدُلُّ على ذلكَ، فمَنْ دَلَّه عِلْمُه على دخولِ هذه الجنَّةِ المعَجَّلَةِ في الدُّنيا دخَلَ الجنَّةَ في الآخرةِ[٣]، ومَنْ لَمْ يشمَّ رائحتَها لَمْ يرِحْ[٤] رائحةَ الجنَّةِ في الآخرةِ[٥].

ولهذا كانَ أشدَّ النَّاسِ عذاباً في الآخرةِ عالمٌ لمْ ينفعْه عِلْمُه، وهوَ مِنْ أشدِّ النَّاسِ حَسْرةً يوم القيامة[٦]، حيثُ كانَ معه آلةٌ يتوصَّلُ بها إلى أعلى الدَّرجاتِ وأرفعِ المقاماتِ، فلَمْ يستعمِلْها إلَّا في التَّوصُّلِ إلى أخسِّ الأمورِ وأدناها قيمةً وأحقرِها؛

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٤٥٧)، وأبو داود في «العلم» (٣٦٥٦)، وابن ماجه (٢٥٢)، وابن حبان (٧٨).

(٢) في (ف) و(ك) و(ع): «ومحبة الأنس به» والمثبت من (ز) و(ض).

(٣) في (ت) و(ف)، وأشير إليها في حاشية (ك) و(ع): «فاز بالجنة الآخرة».

(٤) في (ت) و (ف)، وأشير إليها في حاشية (ك) و(ع): «لم يشم».

(٥) نقل المصنف رحمه الله تعالى في «ذيل طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٩)، عن شيخه أبي عبد الله ابن القيم قال: «سمعت شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

قال: وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة». رحمه الله تعالى.

وذكر ذلك ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٤).

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «حسرة في الآخرة».

كمَنْ كانتْ معه جواهرُ نفيسةٌ لها قيمة عظيمة فباعَها ببَعْرٍ أوْ شيءٍ مُسْتَقْذَرٍ لا يُنْتَفَعُ به، بلْ حالُ مَنْ يطلُبُ الدُّنيا بعلمِه أقبحُ وأقبحُ، وكذلكَ مَنْ يطلُبُها بإظهارِ الزُّهْدِ فيها، فإنَّ ذلكَ خِداعٌ قبيحٌ جدًّا.

وكانَ أبو سليمانَ الدَّارانيُّ يعيبُ على مَنْ لبِسَ عَباءةً وفي قلبِه شَهْوةٌ مِنْ شهَواتِ الدُّنيا تُساوي أكثرَ مِنْ قيمةِ العَباءةِ[1].

يُشيرُ إلى أنَّ إظهارَ الزُّهْدِ في الدُّنيا باللِّباسِ الدَّنيِّ[2] إنَّما يصلُحُ لِمَنْ[3] فرَغَ قلبُه مِنَ التَّعلُّقِ بها، بحيثُ لا يتعلَّقُ قلبُه منها بأكثرَ مِنْ قيمةِ ما لبِسَ في الظَّاهرِ، حتَّى يستويَ ظاهرُه وباطنُه في الفراغِ مِنَ الدُّنيا.

[تعريف الصوفي]

وما أحسَنَ قولَ بعضِ العارفينَ ـ وقدْ سُئِلَ عنِ الصُّوفيِّ ـ: فقالَ: الصُّوفيُّ مَنْ لبِسَ الصُّوفَ على الصَّفا، وسلَكَ طريقَ المصطفى، وذاق الهوى بعد الجفا[4]، وكانتِ الدُّنيا منه خَلْفَ القَفا[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٣٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٤٨)، قال أبو سليمان: «أما يستحي أحدكم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم؟!».

ونسبه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٩٠) إلى حاتم الأصم.

(٢) في (ك): «البذيء». وأشار إليه في حاشية (ع)، ومعناه: «المحتقر». من قولهم: بَذَأَتْه عيني: احتقرته.

(٣) في (ك) و(ع): «إن».

(٤) في (ك) و(ز) و(ع): «وأذاق الهوى طعمَ الجفا»، في المصادر: «وأطعم الهوى ذوق الجفا».

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٨٢)، وذكره السمعاني في «الأنساب» (٦/ ١٨١) من كلام أبي علي محمد بن أحمد بن القاسم الرُّوذْباري الزاهد الصوفي، المتوفى ٣٢٢ رحمه الله.

[طلب العلم للرياسة]

النَّوعُ الثَّاني: مَنْ يطلُبُ العِلْمَ والعَمَلَ والزُّهْدَ للرِّياسةِ[١] على الخَلْقِ والتَّعاظُمِ عليهمْ، وأنْ ينقادَ الخَلْقُ ويخضَعوا له ويصرِفوا وجوهَهمْ إليه[٢]، وأنْ يُظْهِرَ للنَّاسِ زيادةَ علمه[٣] على العُلماءِ؛ ليعلَموا فَضْلَه[٤] عليهمْ ونحوِ ذلكَ، فهذا وعيده النَّارُ؛ لأنَّ قَصْدَه التَّكبُّرَ على الخَلْقِ، وهو في نفسِه مُحرَّمٌ، فإذا استعملَ فيه آلةَ الآخرةِ كانَ أقْبحَ وأفحشَ مِنْ أنْ يَستعمِلَ فيه آلاتِ الدُّنيا مِنَ المالِ والسُّلطانِ.

وفي «السُّننِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ طلَبَ العِلْمَ ليُماريَ به السُّفهاءَ، أو يُجاريَ به العلماءَ، أو يصرِفَ به وجوهَ النَّاسِ إليه أدخلَه اللهُ النَّارَ». خرَّجَه التِّرمذيُّ مِنْ حديثِ كعبِ بنِ مالكٍ[٥]، وخرَّجَه ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ ابنِ عُمَرَ وحذيفةَ، وعندَه: «فهوَ في النَّارِ»[٦].

[الرياء بالعلم]

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِه» مِنْ حديثِ جابرٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا تعلَّموا العلمَ لِتُباهوا به العُلماءَ، ولا لِتُماروا به السُّفهاءَ، ولا تخيَّروا به المجالسَ، فمَنْ فعَلَ ذلكَ فالنَّارَ النَّارَ»[٧].

---

(١) في (ت) و(ف) و(ض): «يطلب بالعمل والعلم والزهد الرياسةَ».

(٢) في (ت) و(ف): «إليه وجوههم».

(٣) في (ز): «علم».

(٤) في (ت) و(ف): «أو ليعلو به عليهم»، وفي (ض): «وليعلو به عليهم».

(٥) أخرجه الترمذي في «العلم» (٢٦٥٤) وفي (ك) و(ز) و(ع): «ويجاري»، «ويصرف». وفي الترمذي تقديم ليجاري على ليماري.

(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٥٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، و(٢٥٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٧). وفي (ف): «فالنار فالنار».

وفي حاشية (ت): «لعله تُحَبِّروا».

وخرَّجه ابنُ عَدِيٍّ مِنْ حديثِ أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ بنحوِه، وزادَ فيه: «ولكنْ تعلَّموه لوجهِ اللهِ والدَّارِ[١] الآخرةِ»[٢].

وعنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: لا تعلَّموا العِلْمَ لثلاث[٣]: لِتُماروا به السُّفهاءَ، أوْ لتجادلوا به الفقهاء[٤]، أوْ تصرِفوا[٥] به وجوهَ النَّاسِ إليكمْ، وابتَغوا بقولِكمْ وفِعْلِكمْ ما عندَ اللهِ فإنَّه يبقى، ويذهبُ ما سِواه[٦].

وقدْ ثبتَ في «صحيحِ مسلمٍ» عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ أوَّلَ خَلْقِ اللهِ تستعِرُ به النَّارُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ: منهمُ العالمُ الَّذي قرأَ القرآنَ ليُقالَ: قارئ، وتعلَّمَ العلمَ لِيُقالَ: عالمٌ، وأنَّه يُقالُ له: قدْ قيلَ ذلكَ، وأُمِرَ به، فَسُحِبَ[٧] على وجهِه حتَّى أُلقِيَ في النَّارِ.

وذكَرَ مِثْلَ ذلكَ في المُتصَدِّقِ لِيُقالَ: إنَّه جوادٌ، وفي المُجاهدِ لِيُقالَ: إنَّه شُجاعٌ[٨].

---

(١) في (ك) و(ع): «وللدار».

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨٠٩)، من طريق ابن عدي ولم أجده في «الكامل».

(٣) «لثلاث»: سقطت من (ك) و(ع) ـ وأشير إليها في حواشيها ـ و(ز).

(٤) المثبت من (ت) و(ف) و(ض) موافقاً لما في «الفقيه والمتفقه»، وفي (ك) و(ز) و(ع): «لتجاروا به العلماء». وعند الدارمي: «وتجادلوا به العلماء».

(٥) في (ض): «لتصرفوا».

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨١٠)، واللفظ له والدارمي في «السنن» (٢٦١)، إلا أن فيه: «وتجادلوا به العلماء».

(٧) من (ت) و(ف)، وفي سائر النسخ: «فيسحب».

(٨) أخرجه مسلم مطولًا (١٩٠٥). =

وعنْ عليٍّ رضي الله عنه قالَ: يا حمَلَةَ العِلْمِ! اعمَلوا به، فإنَّما العالِمُ مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ، فوافَقَ عمَلُه عِلْمَه، وسيكونُ أقوامٌ يحمِلونَ العلمَ لا يُجاوزُ تراقيهم[١]، يُخالِفُ عِلْمُهُمْ عَمَلَهُمْ، وتُخالِفُ سريرَتُهُمْ علانِيَتَهُمْ، يجلِسون حِلَقاً حِلَقاً[٢]، فيُباهي بعضُهُمْ بَعْضاً، حتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيغضَبُ على جَلِيسِه أنْ يَجْلِسَ إلى غيرِه ويَدَعَهُ، أولئكَ لا تَصْعَدُ أعمالُهُمْ في[٣] مجالسِهِمْ تلكَ إلى اللهِ عز وجل[٤].

وقالَ الحسنُ: لا يكونُ حَظُّ أحدِكُمْ مِنَ العلمِ أنْ يقولَ له النَّاسُ: عالِمٌ[٥].

وفي بعضِ الآثارِ: أنَّ عيسى عليه السَّلامُ قالَ: كيفَ يكونُ مِنْ أهلِ العلمِ مَنْ يطلُبُ العلمَ[٦] لِيُحَدِّثَ به، ولا يطلُبُه لِيعملَ به[٧]؟!

= وليس أول اللفظ الذي أورده المصنف في «صحيح مسلم» وإنما هو عند الترمذي (٢٣٨٢) ووقع في (ك) و(ز) و(ع): «تستعر به»، ولم ترد هذه الصيغة في ما أعلم من الحديث.

(١) حاشية (ع): «تراقيهم: جمع ترقوة» والترقوة: عظم يربط مفصل الكتف مع عظم القص.

(٢) لم تكرر هذه اللفظة في المصادر، وهي مكررة في نسخنا عدا (ز).

(٣) من (ت) و(ف) و(ض)، وفي سائر النسخ: «من».

(٤) أخرجه الدارمي (٣٩٤)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥٠٩)، وعنده: «يا حملة القرآن».

ولا تصعد أعمالهم لكونهم مرائين فيها.

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٦) في (ت) و(ف): «من يطلبه ليحدث به». وفي «الزهد» لأحمد: «من طلب الكلام». ولأبي داود: «يطلب الكلام».

(٧) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٩٢)، والدارمي في «السنن» (٣٨٠)، وأبو داود في «الزهد» (١)، وغيرهم من خبر هشام الدستوائي أنه قرأ في كتاب بلغه عن عيسى ابن مريم.

وقالَ بعضُ السَّلَفِ: بلَغَنا أنَّ الَّذي يطلُبُ الأحاديثَ لِيُحدِّثَ بها لا يجِدُ ريح[١] الجنَّةِ[٢].

يعني: مَنْ ليسَ له غرَضٌ في طلَبِها إلَّا لِيُحدِّثَ[٣] بها دونَ العملِ بها.

ذمُّ الفُتْيَا[٤]

ومِنْ هـذا البابِ كَرِهَ[٥] السَّلَفُ الصَّالحُ الجُرْأَةَ على الفُتْيا، والحِرْصَ عليها، والمسارعةَ إليها، والإكثارَ منها.

---

(١) المثبت من (ت) و(ف) و(ض) هو الموافق للمصادر، وفي سائر النسخ: «رائحة».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦٤٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٣١) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١٢٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٣/ ٩٨) من كلام التابعي الجليل أبي إدريس عائذ الله الخولاني، ولفظه: الذي يتتبع الأحاديث ليحدث بها لا يجد ريح الجنة. وأخرج نحوه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢٥) من حديث معاوية بن حيدة مرفوعاً، و(٢٦) من كلام عبد الله بن المبارك رحمه الله.

قال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى موصياً طالب الحديث في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٨٧): «وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية، لا حفظ رواية، فإن رواة العلوم كثير، ورعاتها قليل، ورب حاضر كالغائب، وعالم كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شيء».

وهذه الأدواء الظاهرة التي يحذِّر منها الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى تدل على أدواء باطنة من سوء الغرض بتحصيل الروايات والأسانيد والإجازات استعجالاً للتصدر والرياسة، وتحصيل الجاه والمكانة، والرضا عن النفس بادعاء العلم ونشره مع أنها في إسار الجهل والغفلة. وذلك كله مما يقطع الطريق إلى مرضاة الله تعالى. فليحذر طلبة العلم من ذلك.

(٣) في (ت) و(ف): «الحديث».

(٤) هذا العنوان لا يوجد في (ف) و(ض).

(٥) في (ت) و(ف) و(ض): «ومن هذا القبيل كراهةُ السلفِ».

وروى ابنُ لهيعةَ، عنْ عُبَيدِ اللهِ[١] بنِ أبي جعفرٍ مُرْسَلاً، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أجرَؤُكُمْ على الفُتْيا أجرَؤُكُمْ على النَّارِ»[٢].

وقالَ عَلْقَمةُ: كانوا يقولون: أجرَؤُهُمْ على الفُتْيا أقلُّهُمْ عِلْماً[٣].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى[٤] قالَ: أدركتُ مائةً وعشرينَ مِنَ الأنصارِ مِنْ[٥] أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يُسْأَلُ أحدُهُمْ عنِ المسألةِ ما منهمْ مِنْ أحدٍ إلَّا ودَّ أنَّ أخاه كفاه[٦].

وفي روايةٍ: فيردُّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتَّى ترجِعَ إلى الأوَّلِ[٧].

وعنِ ابنِ مسعودٍ قال: إنَّ الَّذي يُفْتي النَّاسَ في كلِّ ما يستفتونه به لَمَجنونٌ[٨].

---

(١) من (ت) و(ف)، وهو الصواب، وفي سائر النسخ: «عبد الله».
وعبيد الله بن أبي جعفر أبو بكر المصري الفقيه، رأى صحابياً، وحديثه عن التابعين. توفي ١٣٥ رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه الدارمي في «السنن» (١٥٩).

(٣) أخرجه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٥٣٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٤).

(٤) في (ز): «وعن البراء». والذي ورد من قول البراء: ما أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٠٧١ ـ ١٠٧٢) قال: «لقد رأيت ثلاثمئة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى».

(٥) في (ف) و(ض): «ومن» من عطف الصفات.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ١١٠)، وأبو زرعة في «تاريخه» (٢٠٣١)، والدارمي في «السنن» (١٣٧)، وغيرهم.

(٧) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٨٨٤، ١٨٨٥)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٣).

(٨) أخرجه أبو يوسف في «الآثار» (٩٠٣)، والدارمي (١٧٦)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٥٢٦)، والبيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٨٨٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٤١٧)، وغيرهم.

وسُئِلَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عنْ مسألةٍ فقالَ: ما أنا على الفُتْيا بجريءٍ[١].

وكتَبَ إلى بعضِ عُمَّالِه: إنِّي واللهِ ما[٢] أنا بحريصٍ على الفُتْيا[٣] ما وجدتُّ منه بُدًّا[٤].

و[قالَ ابنُ عُيَيْنَةَ][٥]: ليسَ هذا الأمرُ لِمَنْ ودَّ أنَّ النَّاسَ احتاجوا إليهِ، إنَّما هذا الأمرُ لِمَنْ ودَّ أنَّه وجدَ مَنْ يَكفيهِ[٦].

وعنه أنَّه قالَ: أعلمُ النَّاسِ بالفتوى أسْكَتُهُمْ، وأجهَلُهُمْ بها أنْطَقُهُمْ[٧].

وقالَ سفيانُ الثَّوْرِيُّ: أدرَكْنا الفُقهاءَ وهُمْ يكرهونَ أنْ يُجيبوا في المسائلِ والفُتيا، حتَّى لا يجدوا بُدًّا مِنْ أنْ يُفتوا، وإذا أُعْفوا منها كانَ أحبَّ إليهمْ[٨].

وقالَ الإمامُ أحمدُ: مَنْ عرَّضَ نفْسَه لِلفُتْيا فقَدْ عرَّضَها لأمرٍ عظيمٍ إلَّا أنه قد[٩] تُلْجِئُ الضَّرورةُ.

---

(١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٢) في حاشية (ع): دوامية.

(٣) سقطت هذه اللفظة من (ت) و(ف).

(٤) أورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٦١٧)، ونقله ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٥٢). والعامل هو: عروة بن محمد السعدي، استعمله على اليمن. واللفظ: «ما أنا بالنشيط على الفتيا».

(٥) ما بين معقوفين لا يوجد في (ت) و(ف) و(ض)، وكذلك في بعض مطبوعات هذه الرسالة، فجاء متصلاً بكلام عمر بن عبد العزيز، فنسبه إليه جماعة ممن نقل من هذه الرسالة من المعاصرين، وليس الأمر كذلك.

(٦) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٧٩).

(٨) أخرجه الآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ١٠٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٦٤٩).

(٩) في (ك) و(ز) و(ع): «إلا أن تلجئ».

قيلَ: فأيُّما أفضلُ: الكلامُ أمِ السُّكوتُ؟ قال: الإمساكُ أحبُّ إليَّ.

قيلَ له: فإذا كانتِ الضَّرورةُ، فجعلَ يقولُ: الضَّرورة الضرورة![1]، وقال: الإمساكُ أسْلَمُ له[2].

ولِيعلَمَ المُفتي أنَّه يُوَقِّعُ عنِ اللهِ أمرَه ونَهْيَه، وأنَّه موقَّفٌ ومسؤولٌ عنْ ذلكَ.

قالَ الرَّبيعُ بنُ خُثَيْم: أيُّها المُفْتون! انظروا كيفَ تُفْتونَ[3].

وقالَ عمرو بنُ دينارٍ[4] لقتادةَ لَمَّا جلَسَ لِلفُتيا: أتدري في أيِّ عِلْمٍ[5] وَقَّعْتَ؟ قمت[6] بينَ اللهِ وبينَ عبادِه، وقلت[7]: هذا يصلُحُ، وهذا لا يصلُحُ[8].

وعنِ ابنِ المُنْكَدِرِ قالَ: إنَّ العالِمَ داخلٌ[9] بينَ اللهِ وبينَ خَلْقِه، فلينظُرْ كيفَ يدخُلُ عليهم[10].

---

(١) لم تكرر إلا في (ض)، وهو الموافق للمصادر.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٦٥٠).

(٣) أخرجه مطولًا الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٨٢٨)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٥٧١).

(٤) كذا في نسخنا جميعاً، وهو سبق قلم من الأصل، والقصة لمالك بن دينار رحمه الله.

(٥) في (ت) و(ف): «عمل» وهو سبق قلم.

(٦) من (ت) و(ف) موافقاً لمصادر التخريج، وفي سائر النسخ: «وقعت».

(٧) في (ز) و(ع) و(ض): «فقلت».

(٨) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩٠)، وأورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٠٧٤).

(٩) هذه اللفظة ليست في (ت) و(ف) و(ض) والمصادر.

(١٠) «عليهم»: من (ت) و(ف) و(ض)، وسقطت من سائر النسخ، وهي موجودة في المصادر. أخرجه الدارمي بنحوه (١٣٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٣)، والبيهقي في «المدخل» (١٩٠٣)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٨ ـ ١٠٨٩).

وكانَ ابنُ سيرينَ إذا سُئِلَ عنِ الشَّيءِ مِنَ الحلالِ والحرامِ تغيَّرَ لونُه وتبدَّلَ حتَّى كأنَّه ليسَ بالَّذي كانَ[١].

وكانَ النَّخَعِيُّ يُسْأَلُ فتظهَرُ عليه الكراهةُ[٢]، ويقولُ: ما وجدتَ أحداً تَسْأَلُه[٣] غيري؟![٤]

وقالَ: قدْ تكلَّمْتُ ولوْ وجدتُّ بُدًّا ما تكلَّمْتُ، وإنَّ زماناً أكونُ فيه فقيهَ الكوفةِ لَزمانُ سُوءٍ[٥].

ورُوِيَ عنِ ابنِ عُمَرَ قالَ: إنَّكُمْ لَتَسْتفتونا استفتاءَ قومٍ كأنَّا لا نُسْأَلُ عمَّا نُفْتيكم به[٦].

وعنْ محمَّدِ بنِ واسعٍ قالَ: أوَّلُ مَنْ يُدْعى للحسابِ الفُقهاءُ[٧].

---

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٦٤)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٦).

(٢) في (ت) و(ف): «الكراهية».

(٣) في (ت) و(ف) و(ض): «يُسأل» «تَسأل».

(٤) أخرجه زهير بن حرب في «العلم» (١٣١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء» (٤/ ٢٢٦)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٦٤٣).

(٥) أخرجه الدارمي (٢٠٢)، والآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ١٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٢٣)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١١٣٢).

(٦) أخرجه نعيم بن حماد في زوائد «الزهد» (٢٠٦)، ومن طريقه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٩٠). والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩١)، وسقط هذا الأثر من (ز).

(٧) في (ض): «إلى الحساب»، وأخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩٤) بهذا اللفظ، وأخرجه وكيع في «أخبار القضاة» (ص: ٢٧) بلفظ: «القضاة»، ولعله الصواب.

وعنْ مالكٍ أنَّه كانَ إذا سُئِلَ عنْ مسألةٍ كأنَّه واقِفٌ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ[١].

وقالَ بعضُ العُلَماءِ لبعضِ المـُفتينَ: إذا سُئِلْتَ عنْ مسألةٍ فلا يكُنْ همُّكَ تَخْليصَ السَّائلِ، ولكنْ تخليصَ نفْسِكَ أوَّلاً[٢].

وقالَ لآخرَ: إذا سُئِلْتَ عنْ شيءٍ فتفَكَّرْ، فإذا وجدْتَ لِنفْسِكَ مَخْرَجاً فتكلَّمْ، وإلَّا فاسْكُتْ[٣].

وكلامُ السَّلَفِ ـ رَحِمَهمُ اللهُ ـ في هذا المعنى[٤] كثيرٌ جدًّا، ويطولُ ذِكْرُه واستِقْصاؤُهُ.

[ذم الدخول على الملوك]

ومِنْ هذا البابِ أيضاً: كراهة[٥] الدُّخولِ على الملوكِ، والدُّنُوِّ منهمْ، وهوَ البابُ[٦] الَّذي يدخُلُ منه علماءُ الدُّنيا إلى نَيْلِ الشَّرَفِ والرِّياساتِ فيها.

وخـرَّجَ الإمـامُ أحمدُ وأبـو داودَ والتِّرْمِـذِيُّ والنَّسـائيُّ مِنْ حديثِ ابـنِ عبَّاسٍ رضـيَ اللهُ عنهمـا، عـنِ النَّبـيِّ ﷺ قـالَ: «مَنْ سكَنَ الباديـةَ جَفا، ومَـنِ اتَّبَـعَ الصَّيْدَ غَفَـلَ، ومَـنْ أتى أبـوابَ السُّـلطانِ افتُتِنَ»[٧].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٧).

(٢) أخرجه وكيع في «أخبار القضاة» (ص: ٩١)، وابن بطة في «إبطال الحيل» (ص: ٦٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٦١)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩٦). قاله قاضي المدينة عمر بن خلدة للإمام ربيعة الرأي. وضبط ما في «الحلية»: «وقَفَ عَلَيَّ ابنُ خلدة».

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩٩) قاله قاضي المدينة عمر بن خلدة للإمام مالك، وكان حديث السن.

(٤) في (ك) و(ع): «الباب».

(٥) في (ك): «كراهية».

(٦) في (ز): «العلم».

(٧) أخرجه الإمام أحمد (٣٣٦٢)، وأبو داود (٢٨٥٣)، والترمذي (٢٢٥٦) وقال: «حسن صحيح =

وخرَّجَ أحمدُ وأبو داودَ نحوَه مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ، وفي حديثِه: «وما ازدادَ أحدٌ مِنَ السُّلطانِ دُنُوًّا إلَّا ازدادَ مِنَ اللهِ بُعْداً»(١).

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ ناساً(٢) مِنْ أمَّتِي سيفقهونَ في الدِّينِ، ويقرؤونَ القرآنَ، ويقولونَ: نأتي الأُمَراءَ فنُصِيبُ مِنْ دُنياهُمْ، ونعتزِلُهُمْ بدينِنا، ولا يكونُ ذلكَ، كما لا يُجْتَنى مِنَ القَتادِ(٣) إلَّا الشَّوْكُ، كذلكَ لا يُجْتَنى مِنْ قُرْبِهِمْ ـ يعني: إلَّا الخَطايا ـ»(٤).

وخرَّجَه الطَّبَرانيُّ، ولفظُهُ: «إنَّ ناساً(٥) مِنْ أُمَّتِي سيقرؤونَ(٦) القرآنَ، ويتعمَّقون(٧) في الدِّينِ، يأتيهِمُ الشَّيطانُ يقولُ(٨): لَوْ أتيتُمُ الملوكَ فأصبْتُمْ مِنْ دنياهُمْ، واعتزَلْتُمُوهُمْ بدينِكم، ألَا ولا يكونُ ذلكَ. كما لا يُجْتَنى مِنَ القَتادِ إلَّا الشَّوْكُ، كذلكَ لا يُجْتَنى مِنْ قُرْبِهِمْ إلَّا الخَطايا»(٩).

= غريب من حديث ابن عباس، لا نعرفه إلا من حديث الثوري، والنسائي (٤٣٠٩).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٨٣٦)، وأبو داود في رواية ابن داسة (٢٨٦٠). واللفظ له.

(٢) في (ز) و(ض): «أناساً».

(٣) في حاشية (ز): «القتاد، كسحاب، شجر صلب شوكه كالإبر. قاموس».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٥٥).

(٥) في (ز) و(ض): «أناساً».

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «يقرؤون»، وهو الموافق لطبعة الطحان من «المعجم الأوسط»، وما أثبته من سائر النسخ موافق لطبعة دار الحرمين.

(٧) لا اختلاف في نسخنا، وهي موافقة لطبعة دار الحرمين من الطبراني، لكن في طبعة الطحان: «ويتفقهون»!

(٨) في (ك) و(ز): «فيقول».

(٩) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٣٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وخرَّجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «تعوَّذوا باللهِ مِنْ جُبِّ الحَزَنِ»، قالوا: وما جُبُّ الحَزَنِ[1]؟ قالَ: «وادٍ في جهنَّمَ تتعوَّذُ منه جهنَّمُ كلَّ يومٍ مائةَ مرَّةٍ»، قيل: يا رسولَ اللهِ! مَنْ يدخُلُهُ؟ قالَ: «القُرَّاءُ المُراؤونَ بأعمالِهِمْ»[2].

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ نحوَه، وزادَ فيه: «وإنَّ مِنْ أبغَضِ القُرَّاءِ إلى اللهِ الَّذين يَزُورون الأُمَراءَ»[3]. الجَوَرَةَ[4].

ويُروى مِنْ حديثِ عليٍّ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ نحوُه[5].

[تصديق الملوك الظلمة وإعانتهم]

ومِنْ أعظمِ ما يُخْشى على مَنْ دخَلَ على الملوكِ الظَّلَمَةِ أنْ يُصَدِّقَهُمْ بكذِبِهِمْ، ويُعينَهُمْ على ظُلْمِهِمْ ولوْ بالسُّكوتِ عَنِ الإنكارِ عليهمْ، فإنَّ مَنْ يُريدُ بدخولِه عليهمُ الشَّرَفَ والرِّياسةَ وهوَ حريصٌ عليهما لا يُقْدِمُ على الإنكارِ عليهمْ، بلْ رُبَّما حسَّنَ لهُمْ بعضَ أفْعالِهِمُ القبيحةِ تقرُّباً إليهمْ؛ ليَحْسُنَ مَوْقِعُه عندهمْ، ويُساعِدوه على غرَضِه.

وقدْ خرَّجَ الإمامُ أحمدُ والتِّرْمِذِيُّ والنَّسائيُّ وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِه» مِنْ حديثِ كعبِ بنِ عُجْرَةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «سيكونُ بعدي أمراءُ، فمَنْ دخَلَ عليهمْ فصدَّقَهُمْ بكذِبِهِمْ، وأعانَهمْ على ظُلْمِهِمْ: فليسَ منِّي ولستُ منه، وليسَ بواردٍ عليَّ

---

(١) في المصادر: «يا رسول الله وما جب الحزن».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٨٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٦).

(٤) «الجَوَرة» من كلام عبد الرحمن بن محمد المحاربي أحد رواة الحديث. وَصَفَ الأمراء الذي ذمَّ رسولُ الله ﷺ من يزورهم من القراء. فالأمراء في الحديث عام مخصوص.

(٥) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٣٩٠)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٦٣٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٨١).

الحَوْضَ، ومَنْ لمْ يدخُلْ عليهمْ، ولمْ يُعِنْهُمْ على ظُلْمِهِمْ، ولمْ يُصَدِّقْهُمْ بكذِبِهِمْ فهوَ منِّي وأنا منه، وهوَ واردٌ عليَّ الحَوْضَ»[١].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ معنى هذا الحديثِ مِنْ حديثِ حُذيفةَ[٢]، وابنِ عُمَرَ[٣]، وخبَّابِ بنِ الأرَتِّ[٤]، وأبي سعيدٍ الخُدْريِّ[٥]، والنُّعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنهم[٦].

وقدْ كانَ كثيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَنْهَونَ عنِ الدُّخولِ على الملوكِ لِمَنْ أرادَ أمْرَهُمْ بالمعروفِ، ونَهْيَهُمْ عنِ المنكرِ أيضاً، وممَّنْ نهى عنْ ذلكَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ[٧]، وابنُ المُباركِ، والثَّوريُّ[٨] وغيرُهُمْ مِنَ الأئمَّةِ رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨١٢٦)، والترمذي (٢٢٥٩) وقال: «صحيح غريب»، واللفظ له، والنسائي (٤٢٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٢٦٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥٧٠٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٠٧٤) وابن حبان (٢٨٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١١١٩٢) (١١٨٧٣)، وابن حبان (٢٨٦).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٥٣).

(٧) أخرج ابن عساكر في ترجمة همام بن محمد بن سعيد [مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور (٢٧/ ١٤٢)] عن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبد العزيز:
«يا ميمون احفظ عني أربعاً: لا تصحبن سلطاناً وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر، ولا تخلون بامرأة وإن أقرأتها القرآن، ولا تصل من قطع رحمه فإنه لك أقطع، ولا تكلمن بكلام اليوم تعتذر منه غداً».

(٨) أخرج أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٧٩) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٠٧) عن سفيان الثوري قال «كان خيار الناس ـ فيما مضى ـ وأشرافهم المنظور إليه منهم في الدين: الذين يقومون إلى هؤلاء، فيأمرونهم وينهونهم.
وكان آخرون ملازمين لبيوتهم عندهم، ليس لهم ذلك، فكانوا ليس يُرْفعون ولا يُذكرون. =

وقالَ ابنُ المُباركِ: ليسَ الآمرُ النَّاهي عندَنا مَنْ دخَلَ عليهمْ فأمرَهُمْ ونهاهُمْ، إنَّما الآمرُ النَّاهي مَنِ اعتزَلَهُمْ[١].

وسببُ هذا: ما يُخْشى مِنْ فِتْنَةِ الدُّخولِ عليهمْ، فإنَّ النَّفْسَ قدْ تُخَيِّلُ للإنسانِ إذا كانَ بعيداً عنهمْ أنَّه يأمُرُهُمْ وينهاهُمْ ويُغْلِظُ عليهمْ، فإذا شاهدَهُمْ فرُبَّما مالَتِ النَّفْسُ إليهمْ؛ لأنَّ محبَّةَ الشَّرَفِ كامنةٌ في النَّفْسِ، فحبَّبَتْ[٢] له بذلكَ مُداهنَتَهُمْ ومُلاطفَتَهُمْ، ورُبَّما مالَ إليهمْ وأحبَّهُمْ، ولا سِيَّما إنْ لاطَفوه وأكرَموه، وقَبِلَ ذلكَ منهمْ.

وقدْ جرى ذلكَ لعبدِ اللهِ بنِ طاوسٍ[٣] معَ بعضِ الأمراءِ بحضرةِ أبيه طاوسٍ، فوبَّخَه طاوسٌ على فِعْلِه ذلكَ[٤].

وكتَبَ سفيانُ الثَّوريُّ إلى عبَّادِ بنِ عبَّادٍ، وكان في كتابه[٥] وإيَّاكَ والأُمَراءَ أنْ تَدْنوَ

= ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمرونهم وينهونهم شرار الناس، والذين لزموا بيوتهم ولا يأتونهم خيار الناس».

وأخرج أبو نعيم أيضاً في «الحلية» (٦/ ٣٨٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٧١): قال الثوري أيضاً لرجل: «إن دعوك لتقرأ عليهم «قل هو الله أحد» فلا تأتهم» يعني السلاطين.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تقدمة المعرفة لكتاب «الجرح والتعديل» (١/ ٢٨٠).

(٢) في (ت) و(ف) وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع): «فحسنت».

(٣) في (ت) و(ف) و(ض): «لابن طاوس».

(٤) أخرجه المروذي في «أخبار الشيوخ» (ص: ٥٦). قال ابن طاوس: قلت لأبي: لو أن ناساً اجتمعوا حتى يكلموا السلطان! قال: فبينا نحن في منزل نزلناه إذ جاء الوالي فدخل فسلم، قال: فما كلمه أبو عبد الرحمن ـ يعني طاوساً ـ ولا رفع رأسه إليه. فخرج فاتبعته، فقلت: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك!. فقال: بلى، معرفته بي فعلت بي هذا. قال: فلما رجعت إلى أبي قال: أي لكع! أنت تقول بالأمس ما تقول، لم تستطع أن تمسك لسانك حتى كلمته بما كلمته!

(٥) من (ت) و(ف) و(ض)، وسقطت: «وكان في كتابه» من سائر النسخ.

منهمْ أو تُخالِطَهُمْ[١] في شيءٍ منَ الأشياءِ، وإيَّاكَ أنْ تُخْدَعَ ويُقالَ لكَ: تَشْفَعُ وتَدْرَأُ عنْ مَظْلومٍ، أوْ تَرُدُّ مَظْلَمَةً، فإنَّ ذلكَ خديعةُ إبليسَ، وإنَّما اتَّخَذَها فُجَّارُ القُرَّاءِ سُلَّماً، وما كُفِيتَ مِنَ المسألةِ والفُتيا فاغتنِمْ ذلكَ، ولا تُنافِسْهُمْ فيه، وإيَّاكَ أنْ تكونَ كَمَنْ يُحِبُّ أنْ يُعْمَلَ بقولِه، أوْ يُنْشَرَ قولُه، أوْ يُسْمَعَ مِنْ قولِه فإذا ترك ذاك منه عرف فيه[٢]، وإيَّاكَ وحُبَّ الرِّياسةِ، فإنَّ الرَّجلَ تكونُ الرِّئاسةُ أحبَّ إليه مِنَ الذَّهبِ والفِضَّةِ، وهوَ بابٌ غامِضٌ لا يُبْصِرُه إلَّا البَصيرُ مِنَ العُلماءِ السَّماسرةِ[٣]، فتفقَّدْ[٤] نفسَكَ، واعمَلْ بنيَّةٍ، واعلمْ أنَّه قدْ دنا مِنَ النَّاسِ أَمْرٌ يشتهي الرَّجُلُ أنْ يموتَ، والسَّلامُ[٥].

[كراهة الشهرة]

ومِنْ هذا البابِ أيضاً: أنْ يَشْهَرَ الإنسانُ نفْسَه[٦] للناس بالعِلْمِ والزُّهدِ والدِّينِ، أوْ بإظهارِ الأعمالِ والأقوالِ والكراماتِ؛ حتَّى يُزارَ[٧]، وتُلْتَمَسَ بركَتُه ودُعاؤُه، وتُقَبَّلَ يدُه وهوَ مُجيبٌ[٨] إلى ذلكَ، ويُقيمُ عليه، أوْ يفرَحُ به، أوْ يسعى في أسبابِه.

ومِنْ هنا كانَ السَّلَفُ الصَّالحُ يكرهونَ الشُّهْرَةَ غايَةَ الكَراهةِ؛ منهُمْ: أيُّوبُ[٩]

---

(١) في (ت) و(ف) و(ض): «تخاطبهم».

(٢) سقطت هذه الجملة من النسخ عدا (ت) و(ف).

(٣) في حاشية (ع): «جمع سمسار: في الأصل من يدخل بين البائع والمشتري. أريد به هاهنا العالم الحافظ للأمر والقيم له».

(٤) تحرفت في (ز) إلى: «فثقل».

(٥) أخرجه مطولًا المروذي في «أخبار الشيوخ» (ص: ١٨٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٧٦). وأخرج نحوه البيهقي من كلام الثوري ليوسف بن أسباط (٨٩٧٢).

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «كراهة أن يشهر الإنسان نفسه».

(٧) في (ت) و(ف): «حتى يُراد» فيكون معناه: أن يكون له مريدون وأتباع.

(٨) في (ت) و(ف): «يجيب»، وفي (ض): «محب ذلك»، وفي (ر): «محب لذلك».

(٩) هو السختياني رحمه الله، ومن كلامه: ما صدق عبد قط فأحب الشهرة. أخرجه في «الجعديات» (١٢٤٨).

والنَّخَعيُّ[١] وسفيانُ[٢] وأحمدُ[٣]، وغيرُهُمْ مِنَ العلماءِ الرَّبَّانيِّينَ، وكذلكَ فُضَيلٌ[٤] وداودُ الطَّائيُّ وغيرُهُما مِنَ الزُّهَّادِ والعارفينَ، وكانوا يذمُّونَ أنفُسَهُمْ غايَةَ الذَّمِّ، ويستُرون أعمالَهُمْ غايةَ السَّتْرِ.

دخلَ رجلٌ على داودَ الطَّائيِّ فسألَه ما جاءَ به؟ فقالَ: جئتُ أزورُكَ، فقالَ: أمَّا أنتَ فقدْ أصبْتَ خيراً حيثُ زُرْتَ في اللهِ، ولكنْ أنا أنظُرُ ماذا لقِيتُ إذا قيلَ لي غداً: مَنْ أنتَ حتَّى تُزارَ؟! مِنَ الزُّهَّادِ أنتَ؟! لا واللهِ. مِنَ العُبَّادِ أنتَ؟! لا واللهِ. مِنَ الصَّالحينَ أنتَ؟! لا واللهِ... وعدَّدَ خِصالَ الخيرِ على هذا الوجهِ، ثمَّ جعَلَ يُوبِّخُ نفْسَه، فيقولُ: يا داودُ! كنتَ في الشَّبيبةِ فاسقاً، فلمَّا شِبْتَ صِرْتَ مُرائياً، والمُرائي شرٌّ مِنَ الفاسقِ[٥].

---

(١) هو إبراهيم النخعي رحمه الله. قال الأعمش: كان إبراهيم يتوقى الشهرة، فكان لا يجلس إلى الأسطوانة. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢١٩).

(٢) من كلام سفيان الثوري: إياك والشهرة! فما أتيت أحداً إلا وقد نهاني عن الشهرة. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٣).

(٣) قال رحمه الله لأبي بكر المروزي: قل لعبد الوهاب أخمل ذكرك فإني قد بليت بالشهرة. أخرجه ابن الجوزي في «مناقب أحمد» (ص: ٣٧٧) ومن كلامه رحمه الله: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بليت بالشهرة، إني أتمنى الموت صباحاً ومساءً. ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٦).

(٤) من كلامه رحمه الله: كان بعضهم إذا جلس إليه أربعة أو أكثر من أربعة قام؛ مخافة الشهرة. أخرجه ابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير»، - أخبار المكيين - (٤٦٧).

(٥) أورد القصة بنحوها ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٣/ ١٦٧) والزاهر هو ثابت البناني، والغزالي في «إحياء علوم الدين» في أول كتاب آداب الألفة والأخوة، وابن الملقن في «طبقات الأولياء» (ص: ٢٠١).

وكانَ محمَّدُ بنُ واسعٍ يقولُ: لوْ أنَّ للذُّنوبِ رائحةً ما استطاعَ أحدٌ أنْ يُجالِسَني[١].

وكانَ إبراهيمُ النَّخَعيُّ إذا دخَلَ عليه أحدٌ وهوَ يقرَأُ في المصحفِ غطَّاهُ[٢].

وكانَ أويسٌ وغيرُه مِنَ الزُّهَّادِ إذا عُرِفوا في مكانٍ ارتَحلوا منه[٣].

[كثير من السلف يكرهون أن يطلب منهم الدعاء]

وكانَ كثيرٌ مِنَ السَّلَفِ يكرَه أنْ يُطْلَبَ منه الدُّعاءُ، ويقولُ لِمَنْ يسأَلُه الدُّعاءَ: أنبيٌّ أنا؟!

ومِمَّنْ رُوِيَ عنه ذلكَ عمرُ بنُ الخطَّاب[٤] وحذيفةُ بنُ اليمان[٥] رضيَ اللهُ عنهما،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الورع» (ص: ١٦٣ و١٦٤)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٩) بلفظ: لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني من نتن ريحي.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٨٠٧)، وتتمته: وقال: لا يرى هذا أني أقرأ فيه كل ساعة.

(٣) انظر خبره في: «العزلة والانفراد» لابن أبي الدنيا (١١٤) و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/ ٨٠) وذهابه عنهم.

(٤) نقل الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٣٣١ طبعة دار ابن الجوزي) من «تهذيب الآثار» للطبري [وليس في المطبوع منه] عن مدرك بن عمران قال: كتب رجل إلى عمر رضي الله عنه: إني أصبت ذنباً فادع الله لي. فكتب إليه عمر: إني لست بنبي، ولكن إذا أقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك.
وتوجيه الشاطبي لهذا الأثر أن إباية عمر رضي الله عنه ليس من جهة أصل الدعاء، ولكن كأنه فهم من السائل أمراً زائداً على الدعاء، وهو أن يعتقد فيه أنه مثل النبي ﷺ أو أنه وسيلة إلى أن يعتقد ذلك أو يعتقد أنه سنة تلزم، أو يجري في الناس مجرى السنن الملتزمة.
ونقل الشاطبي أيضاً (٢/ ٣٣٢) من «تهذيب الآثار»، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه لما قدم الشام أتاه رجل، فقال: استغفر لي، فقال: غفر الله لك، ثم أتاه آخر فقال: استغفر لي. فقال: لا غفر الله لك ولا لذاك. أنبي أنا؟!

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٧): جاء رجل إلى حذيفة، فقال: استغفر لي. فقال: لا غفر الله لك!

=

وكذلكَ مالكُ بنُ دينارٍ[١].

وكانَ النَّخَعِيُّ يكرَهُ أنْ يُسألَ الدُّعاءَ[٢].

وكتَبَ رجلٌ إلى أحمدَ ـ رحِمَه اللهُ ـ يسألُهُ الدُّعاءَ، فقالَ أحمدُ: إذا دَعَوْنا نحنُ لهذا فمَنْ يدعو لنا[٣].

= إني لو استغفرت لهذا [لأتى بنسائه] فقال: استغفر لي حذيفة!، أتحب أن يجعلك الله مع حذيفة؟! اللهم اجعله مع حذيفة. انتهى مع تصحيح ما بين معقوفين. والأثر نقله الشاطبي (٢/ ٣٣٣) أيضاً من «تهذيب الآثار».

قلت: ثم دعا له حذيفة رضي الله عنه بعد إبائه. والأثر في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٢٧٦) استشهد به إبراهيم النخعي رحمه الله.

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ١٩٣):

وجاء رجل إلى مالك بن دينار فقال: أنا أسألك بالله أن تدعو لي فأنا مضطر. قال: إذاً فاسأله [أنت] فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

(٢) عن ابن عون قال: كنا عند إبراهيم فجاء رجل فقال: يا أبا عمران، ادع الله أن يشفيني فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى رأيتنا عرفنا كراهة ذلك في وجهه. وذكر الأثر السابق عن حذيفة رضي الله عنه. أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٧٦ دار صادر) ونقله الشاطبي (٢/ ٣٣٣) من «تهذيب الآثار».

(٣) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٨٦) أن علي بن أبي حرارة قال: كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل فاسأله أن يدعو الله لي، فسرت إليه، فدققت عليه الباب وهو في دهليزه فلم يفتح لي، وقال: من هذا؟ فقلت: أنا رجل من أهل ذلك الجانب، سألتني أمي وهي زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب فقال: نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا. فوليت منصرفاً، فخرجت امرأة عجوز من داره، فقالت: أنت الذي كلمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم، قالت: قد تركته يدعو الله لها. قال: فجئت من فوري إلى البيت، فدققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي حتى فتحت الباب، فقالت: قد وهب الله لي العافية.

ووُصِفَ بعضُ الصَّالحينَ واجتهادُه في العبادةِ لبعضِ الملوكِ، فعزَمَ على زيارته، فبلَغَه ذلكَ، فجلَسَ على قارعةِ الطَّريقِ يأكُلُ، فوافاه المَلِكُ وهوَ على تلكَ الحالةِ، فسلَّمَ عليه، فردَّ عليه السَّلامَ، وجعلَ يأكُلُ أَكْلاً كَثيراً ولا يلتفِتُ إلى المَلِكِ، فقالَ المَلِكُ: ما في هذا خيرٌ. ورجَعَ، فقالَ الرَّجلُ: الحمدُ لله الَّذي ردَّه عنِّي وهو لائِمٌ[1].

وهذا بابٌ واسِعٌ جدًّا[2].

وها هنا نُكْتَةٌ دقيقةٌ: وهيَ أنَّ الإنسانَ قدْ يذُمُّ نَفْسَه بينَ النَّاسِ يُريدُ بذلكَ أنْ يُرِيَ النَّاسَ أنَّه مُتواضِعٌ عندَ نَفْسِه، فيرتفِعُ بذلكَ عندهمْ ويَمْدَحونه به، وهذا مِنْ دقائقِ أبوابِ الرِّياءِ، وقدْ نبَّهَ عليه السَّلَفُ الصالح.

فقالَ مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ: كفى بالنَّفْسِ إطْراءً أنْ تذُمَّها على الملأِ، كأنَّكَ أردتَّ بذَمِّها زَيْنَها، وذلكَ عندَ اللهِ سَفَهٌ[3].

***

فَصْلٌ

وقدْ تبيَّنَ بما ذَكَرْنا أنَّ حُبَّ المالِ والرِّياسةِ والحِرْصَ عليهما يُفْسِدُ دِينَ المرءِ حتَّى لا يَبْقى منه إلَّا ما شاءَ اللهُ؛ كما أخبرَ بذلك النبي ﷺ[4]، وأصلُ محبَّةِ المالِ والشَّرَفِ مِنْ حُبِّ الدُّنيا، وأصلُ حُبِّ الدُّنيا اتِّباعُ الهَوى.

---

(١) أخرجه من كلام وهب بن منبه مطولًا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٨). وفي (ت) و(ف) و(ض): «الحمد لله الذي رد هذا عني وهو لائم».

(٢) سقطت الجملة من (ز).

(٣) أخرجه بنحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٠٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٣٠١). وعندهما: «وذلك عند الله شينها».

(٤) في (ك) و(ع) و(ز): «أخبر عليه الصلاة والسلام».

قالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: مِنِ اتِّباعِ الهوى الرَّغْبَةُ في الدُّنيا، ومِنَ الرَّغْبَةِ فيها حُبُّ المالِ والشَّرَفِ، ومِنْ حُبِّ المالِ والشَّرَفِ استِحْلالُ المحارِمِ[1].

وهذا كلامٌ حسَنٌ، فإنَّه إنَّما يَحْمِلُ على حُبِّ المالِ والشَّرَفِ: الرَّغْبَةُ في الدُّنيا، وإنَّما تَحْصُلُ الرَّغْبَةُ في الدُّنيا مِنِ اتِّباعِ الهوى؛ لأنَّ الهوى داعٍ إلى الرَّغْبَةِ في الدُّنيا وحُبِّ المالِ والشَّرَفِ فيها، والتَّقْوى تَمْنَعُ مِنِ اتِّباعِ الهوى، وتردَعُ عنْ حُبِّ الدُّنيا، قالَ الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١].

وقدْ وصَفَ اللهُ أهلَ النَّارِ بالمالِ والسُّلْطانِ في مواضِعَ مِنْ كتابِه العزيز كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٩].

واعلَمْ: أنَّ النَّفْسَ تُحِبُّ الرِّفْعَةَ والعُلُوَّ على أبناءِ جِنْسِها، ومِنْ هنا نشَأَ الكِبْرُ والحسَدُ، ولكنَّ العاقِلَ يُنافِسُ في العُلُوِّ الدَّائمِ الباقي الَّذي فيه رِضْوانُ اللهِ وقُرْبُه وجِوارُه، ويرغَبُ عنِ العُلُوِّ الفاني الزَّائلِ الَّذي يعقُبُه غضَبُ اللهِ وسُخْطُه، وانحِطاطُ العَبْدِ وسُفُولُه[2]، وبُعْدُه عنِ اللهِ، وطَرْدُه عنه، فهذا العُلُوُّ الفاني[3] هوَ الَّذي يُذَمُّ، وهوَ العتو والتَّكبُّرُ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ.

وأمَّا العُلُوُّ الأوَّلُ والحِرْصُ عليه فهو محمودٌ، قالَ الله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

---

(١) في (ت) و(ف): «الحرام» أخرجه مطولًا: الإمام أحمد في «الزهد» (٢١٧٧) واللفظ له، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٠٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤١).

(٢) في (ك) و(ع) و(ز): «سفولته».

(٣) يتصحف إلى: «الثاني».

وقالَ الحسَنُ: إذا رأيتَ الرَّجلَ يُنافِسُكَ في الدُّنيا فنافِسْهُ في الآخرةِ[١].

وقالَ وُهَيبُ بنُ الوَرْدِ: إنِ استطعْتَ أنْ لا يَسبِقَكَ إلى اللهِ عز وجل أحدٌ فافعلْ[٢].

وقالَ محمَّدُ بنُ يوسفَ الأصبَهانيُّ العابِدُ: لوْ أنَّ رجلاً سمِعَ برجلٍ أطْوَعَ للهِ منه أوْ عرَفَه كانَ ينبغي له أنْ يُحْزِنَه ذلكَ[٣].

وقالَ غيرُه: لوْ أنَّ رجلاً سمِعَ برجلٍ أوْ عرَفَ رجلاً أطوعَ لله منه فانصَدَعَ قلبُه، لمْ يكنْ ذلكَ بعَجَبٍ[٤].

وقالَ رجلٌ لمالكِ بنِ دينارٍ: رأيتُ في المنامِ مُنادياً يُنادي: أيُّها النَّاسُ! الرَّحيلَ الرَّحيلَ، فما رأيتُ أحداً يرتحلُ[٥] إلَّا محمَّدَ بنَ واسعٍ. فصاحَ مالكٌ، وغُشِيَ عليه[٦].

ففي درجاتِ الآخرةِ الباقيةِ يُشْرَعُ التَّنافُسُ وطلَبُ العُلُوِّ في منازِلِها، والحِرْصُ على ذلكَ بالسَّعْيِ في أسبابِه، وأنْ لا يَقْنَعَ الإنسانُ فيها بالدُّونِ معَ قُدْرَتِه على العُلُوِّ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٣٥١)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٢١٥، ١٥٢٥، ١٦٣٤)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٥٣٥)، وفي «ذم الدنيا» (٤٦٥).

(٢) في (ف): «لا يسبقك أحد إلى الله عز وجل». أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٠)، وفيه: «إن استطعت أن لا يشغلك عن الله تعالى أحد فافعل» ونقله المزي في «تهذيب الكمال» (٣١/ ١٧٢) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٢٤٩) بمثل نقل المصنف. وقال: «هذا على سبيل المبالغة في الاجتهاد وإلا فقد سبق والله السابقون الأولون فضلاً عن الأنبياء المستحيل سبقهم».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٣) من نقل محمد بن يوسف عن رجل من أهل البصرة.

(٥) في (ك) و(ع): «يرحل» وفي (ز): «ترحل». والمثبت من (ت) و(ف) موافق للمصدر.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٩٠٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ١٥٣، ١٥٤)، والذي رأى المنام هو حوشب بن مسلم أحد العباد الزهاد، ومحمد بن واسع هو أبو عبد الله الأزدي البصري أحد أعلام التابعين رحمهم الله تعالى.

وأمَّا العُلُوُّ الفاني المنقطِعُ الَّذي يُعْقِبُ صاحبَه غداً حَسْرةً وندامةً وذِلَّةً وهَواناً وصَغاراً، فهوَ الَّذي يُشْرَعُ الزُّهدُ فيه والإعراضُ عنه.

[أسباب الزهد في العلو الفاني]

ولِلزُّهدِ فيه أسبابٌ عديدةٌ:

منها: نظَرُ العبدِ إلى سُوءِ عاقبةِ الشَّرَفِ في الدُّنيا بالولايةِ والإمارةِ لِمَنْ لا يؤدي[١] حَقَّها في الآخرةِ.

ومنها: نظَرُ العبدِ إلى عُقوبةِ[٢] الظَّالمينَ والمتكبِّرين، ومَنْ يُنازِعُ اللهَ رِداءَ الكِبْرِياءِ[٣].

[وعيد المتكبرين]

وفي «السُّنَنِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قالَ: «يُحْشَرُ المتكبِّرون يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ[٤] في صُوَرِ الرِّجالِ، يغشاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كلِّ مكانٍ، يُساقون إلى سِجْنٍ في جهنَّمَ يُسمَّى: «بُولَسُ»[٥]، تعلُوهمْ نارُ الأَنْيارِ[٦]، يُسْقَونَ مِنْ عُصارةِ أهلِ النَّارِ طِينَةِ الخَبَالِ»[٧]. وخرَّجَه التِّرْمِذِيُّ وغيرُه مِنْ حديثِ عمرو بنِ شُعيبٍ، عنْ أبيهِ، عنْ جدِّه، عنِ النَّبيِّ ﷺ[٨].

---

(١) في (ك) و(ز) و(ع): «يؤتي».

(٢) في (ك) و(ع): «عاقبة».

(٣) في (ت): «ينازع الكِبْرَ ذا الكبرياء».

(٤) في حاشية (ع): «صغار النمل».

(٥) في حاشية (ك) و(ع): «بضم الباء وفتح اللام. كذا ضبطه القاموس».

(٦) في حاشية (ك) و(ع): «كأنه جمع نار، والقياس يقتضي أن يقال: الأنوار، لأنه واوي، لكن هكذا جاء في الرواية».

(٧) في حاشية (ع): «بيان للعصارة». وضبطها في (ت): «طينةَ».

(٨) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٧٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والترمذي (٢٤٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٢٧)، وغيرهم.

وفي روايةٍ لغيرِه مِنْ وَجْهٍ آخرَ: تَطَؤُهُمُ النَّاسُ بأقدامِهِمْ[١].

وفي أخرى: يطؤهم الإنسُ والجِنُّ والدَّوابُّ بأرجُلِها حتَّى يقضِيَ اللهُ بينَ عبادِه[٢].

واستأذَنَ رجلٌ عُمَرَ رضي الله عنه في القَصَصِ على النَّاسِ، فقالَ له: إنِّي أخافُ أنْ تقُصَّ عليهِمْ، فترتفع عليهِمْ في نفْسِكَ حتَّى يضعَكَ اللهُ تحتَ أرجلِهِمْ يومَ القيامةِ[٣].

ومنها: نظَرُ العبدِ إلى ثوابِ المتواضعينَ للهِ في الدُّنيا بالرِّفْعَةِ في الآخرةِ، فإنَّه «مَنْ تواضَعَ للهِ رفَعَه اللهُ»[٤].

ومنها: وليسَ هوَ في قُدْرَةِ العبدِ، ولكنَّه مِنْ فضلِ اللهِ ورحمتِه ما يُعَوِّضُ اللهُ عبادَه العارفين به، الزَّاهدين فيما يَفْنى مِنَ المالِ والشَّرَفِ[٥] بما[٦] يُعَجِّلُه اللهُ لهمْ

---

(١) أخرجه البزار (٣٤٢٩ ـ كشف الأستار) من حديث جابر رضي الله عنه ولفظه: يطؤهم الناس. قال البزار: لا نعلمه يُروى عن جابر إلا بهذا الإسناد، والقاسم ـ يعني ابن عبد الله العمري أحد رجاله ـ فليس بالقوي، وقد حدث عنه أهل العلم.

(٢) أخرجه من حديث عوف بن مالك الأشجعي ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٤٦)، وفي (ك) وغيرها: «تطؤهم».

(٣) أخرج نحوه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٨٠ ـ ٨١)، من روايات متعددة، في استئذان تميم الداري له رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٩٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٣٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعاً. وقال ذو النون في تفسيره: «من تذلل بالمسكنة والفقر إلى الله رفعه الله يعني بالانقطاع إليه» رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٧٩).

(٥) في حاشية (ع): «يتعلق بيعوض، وهو للبدل أو بيان لما يفنى».

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «مما».

في الدُّنيا مِنْ شرَفِ التَّقْوى وهَيْبَةِ الخَلْقِ لهم[١] في الظَّاهرِ، ومِنْ حلاوةِ المعرفةِ والإيمانِ والطَّاعةِ في الباطِنِ، وهيَ الحياةُ الطَّيِّبةُ الَّتي وعدَها اللهُ لِمَنْ عمِلَ صالحاً مِنْ ذكرٍ أوْ أنثى وهوَ مؤمنٌ[٢]، وهذه الحياةُ الطَّيِّبةُ لَمْ يذُقْها الملوكُ في الدُّنيا ولا أهلُ الرِّياساتِ والحِرْصِ على الشَّرَفِ؛ كما قالَ إبراهيمُ بنُ أدْهَمَ: لوْ يعلَمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحنُ عليه لجالَدونا[٣] عليه بالسُّيوفِ[٤].

ومَنْ رزَقَه اللهُ ذلكَ اشتغَلَ به عنْ طلَبِ الشَّرَفِ الزَّائلِ والرِّياسةِ الفانيةِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقالَ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وفي بعضِ الآثارِ: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا العزيزُ، فمَنْ أرادَ العِزَّ فلْيُطِعِ العزيزَ»[٥].

---

(١) «لهم» سقطت من (ك) و(ع) و(ز).

(٢) قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

(٣) في (ت) و(ف): «ما نحن فيه لجالدونا»، وفي حاشية (ع): «أي ضاربونا بالسيف، من الجِلاد وهو الضرب بالسيف في القتال».

(٤) أخرجه في قصة أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٧٠)، والخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (١١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٣، ٣٦٦).

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٦٨) وفي «المتفق والمفترق» (١٢٩٣)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١١٩) وقال: هذا حديث لا يصح، وسرق بعضهم هذا الحديث فرواه بإسناد آخر، وهو عند الخليلي في «الإرشاد» (٣/ ٩٢١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٢٠)، والرافعي في «التدوين» (٢/ ٨٦). وذكره المصنف في «لطائف المعارف» في المجلس الثالث في وظائف المحرم، وفي «شرح حديث بعثت بالسيف».

فمن[١] أرادَ عِزَّ الدُّنيا والآخرةِ وشرَفَهما فعليه بالتَّقْوى.

كانَ حجَّاجُ بنُ أَرْطاةَ يقولُ: قتلَني حُبُّ الشَّرَفِ، فقالَ له سَوَّارٌ: لوِ اتَّقَيْتَ اللهَ شُرُفْتَ[٢].

وفي هذا المعنى يقولُ القائلُ:

ألَا إنَّما التَّقْوى هيَ العِزُّ والكَرَمْ ... وحُبُّكَ للدُّنيا هوَ الذُّلُّ والسَّقَمْ

وليسَ على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ ... إذا حقَّقَ التَّقوى وإنْ حاكَ أوْ حجَمْ[٣]

قالَ صالحٌ النَّاجي: الطَّاعةُ إِمْرَةٌ، والمطيعُ للهِ أميرٌ مؤمَّرٌ على الأمراءِ، ألا ترى هيبته[٤] في صُدورهمْ، إنْ قالَ قَبِلوا، وإنْ أمَرَ أطاعوا.

ثمَّ[٥] قالَ صالحٌ: يحِقُّ لِمَنْ أحسن[٦] خِدْمَتَكَ ومَنَنْتَ[٧] عليه بمحبَّتِكَ أنْ تُذَلِّلَ[٨] له الجبابرةَ حتَّى يهابوه، لهَيْبَتُهُ في صُدورِهمْ مِنْ هَيْبَتِكَ في قلبِه، وكلُّ الخَيْرِ مِنْ عندكَ لأوليائك[٩].

---

(١) في (ك) و(ع) و(ز): «ومن».

(٢) ذكره عن حجاج: الإمام أحمد في رواية الميموني «العلل» (٤٩٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٨٢). وقول سوار له في «أخبار القضاة» لوكيع (٢/ ٥٠ المكتبة التجارية الكبرى).
وضبط في (ت): «شُرِّفْت».

(٣) البيتان لأبي العتاهية، كما في «ديوانه» (٣٩٤)، إلا أن فيهما: «العدم» بدل «السقم»، و«صحح» بدل «حقق».

(٤) المثبت من (ت) و(ف) و(ض) موافقاً للمصدر، وفي سائر النسخ: «هيبة الله».

(٥) في (ت) و(ف) و(ض): «يقول».

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «نحسن».

(٧) في حاشية (ف): «وثَبَّتَّ». وهي في صلب (ت)، وكتب في حاشيتها: لعله: «ومَنَنْتَ».

(٨) في (ف): «تذلَّ».

(٩) في (ت) و(ف) و(ك) و(ض): «بأوليائك»، والأثر: أخرجه الخلتي في «المحبة لله» (١٧٢).

وقالَ بعضُ السَّلَفِ الصَّالحِ: مَنْ أسعدُ بالطَّاعةِ مِنْ مُطيعٍ؟! ألا وكلُّ الخَيْرِ في الطَّاعةِ، ألا وإنَّ المطيعَ للهِ ملِكٌ في الدُّنيا والآخرةِ[١].

وقالَ ذو النُّونِ: مَنْ أكرمُ وأعَزُّ[٢] مِمَّنِ انقطَعَ إلى مَنْ مُلْكُ الأشياءِ بيدِه؟![٣]

دخَلَ محمَّدُ بنُ سليمانَ أميرُ البصرةِ على حمَّادِ بنِ سلَمَةَ، فقعَدَ[٤] بينَ يديه يسألُه، فقالَ له: يا أبا سلَمَةَ! ما لي كُلَّما نظرْتُ إليكَ ارتعدتُّ فَرَقاً[٥] منكَ؟ فقالَ: إنَّ[٦] العالِمَ إذا أرادَ بعِلْمِه وَجْهَ اللهِ خافَهُ كلُّ شيءٍ، وإنْ أرادَ أنْ يكتنِزَ به الكنوزَ خافَ مِنْ كُلِّ شيءٍ[٧].

ومِنْ هذا قولُ بعضِهِمْ: على قَدْرِ هَيْبَتِكَ للهِ يهابُكَ[٨] الخَلْقُ، وعلى قَدْرِ محبَّتِكَ للهِ يُحِبُّكَ الخَلْقُ، وعلى قَدْرِ اشتغالِكَ باللهِ يشتغِلُ الخَلْقُ بأشغالِكَ[٩].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٤٨) من كلام رجل من أهل الشام اسمه: أمية، وكان يدخل الطواف، فيأخذ في النحيب والبكاء، وربما سقط مغشياً عليه.

(٢) من (ت) و(ف) و(ض) موافقاً للمصدر، وفي سائر النسخ: «أعز وأكرم».

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤٢١).

(٤) في (ت) و(ف) و(ض): «وقعد».

(٥) في حاشية (ع): «أي خوفاً».

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «قال لأن».

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٣٦٢)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٣/ ١٣٣). وجواب السؤال عندهما مرفوع من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه: «هابه» بدل «خافه» و«هاب» بدل «خاف».

(٨) في (ت) و(ف) و(ض): «يخافك».

(٩) ورد هذا المعنى عن جماعة من السلف:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٨)، والسلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١١١) من =

وكانَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه يوماً يمشي ووراءَه قومٌ مِنْ أكابرِ المهاجرينَ، فالتفتَ فرآهُمْ، فخرُّوا على رُكَبِهِمْ هَيْبَةً له[١]، فبكى عمرُ وقالَ: اللَّهُمَّ إنَّكَ تعلَمُ أنِّي أخوفُ لكَ منهمْ لي[٢].

وكانَ العُمَرِيُّ الزَّاهدُ قدْ خرَجَ إلى الكوفةِ إلى الرَّشيدِ لِيَعِظَه وينهاه، فوَقَعَ الرُّعْبُ في عسكرِ الرَّشيدِ لَمَّا سمِعوا بنزولِه حتَّى لوْ نزَلَ بهمْ عدوٌّ مائةَ ألفِ نَفْسٍ لَمَا زادوا على ذلكَ[٣].

وكانَ الحسنُ لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يسألَه مِنْ هَيْبَتِه، وكانَ خواصُّ أصحابِه يجتمعونَ، ويطلُبُ بعضُهُمْ مِنْ بعضٍ أنْ يسألوه عنِ المسألةِ، فإذا حضَروا مَجْلِسَه

= كلام يحيى بن معاذ الرازي، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٤/ ٢٣٠)، وابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» (١٣٥)، من كلام يوسف بن الحسين الرازي، والقطعة الأولى منه أخرجها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١١٠) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤٠٦) من كلام الفضيل بن عياض.

(١) في حاشية (ك) و(ع): «جواز الخرور على الرُّكب».

قلت: ليس في هذا الأثر أنه كان اختياراً حتى يكون جائزاً، وإنما هو اضطرار حصل معهم للهيبة، والله أعلم.

(٢) عن القاسم بن محمد قال: بينما عمر يمشي وخلفه عدة من أصحاب رسول الله ﷺ إذ بدا له، فالتفت، فإن بقي منهم أحد إلا وجب لركبتيه ساقطاً. قال: فأرسل عينيه، فبكى، ثم قال: «اللهم تعلم أني منك أشد فرقاً منهم مني».

أخرجه ابن شبَّة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٨١). ونقله ابن الجوزي في «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص: ١٢٩).

(٣) أورده ابن الجوزي في «المنتظم» (٩/ ١٠٠). والعمري هو عبد الله بن عبد العزيز العمري، المتوفى سنة ١٨٤ رحمه الله تعالى.

لـم يجتـرؤوا على سُـؤالِه حتَّـى رُبَّمـا مكَثوا على ذلكَ سـنةً كاملـةً هَيْبـةً له[١].

وكذلكَ كانَ مالكُ بنُ أنسٍ ـ رحِمَهُ اللهُ ـ يُهابُ أنْ يُسْأَلَ، حتَّى قالَ فيه القائلُ:

يـدَعُ الجـوابَ فـلا[٢] يُراجَـعُ هَيْبَةً والسَّائلـون نـواكِـسُ الأذْقـانِ

نـورُ الوَقـارِ وعِـزُّ سُلْطـانِ التُّقـى فهو المَـهيبُ[٣] وليـسَ ذا سُـلْطانِ[٤]

قالَ بُدَيلٌ العُقَيليُّ: مَنْ أرادَ بعَمَلِه[٥] وجْهَ اللهِ أقبَلَ اللهُ عليه بوجْهِه، وأقبَلَ بقلوبِ العِبادِ إليه، ومَنْ عمِلَ لغيرِ اللهِ صرَفَ اللهُ وجهَه عنه، وصرَفَ قلوبَ العِبادِ عنه[٦].

وقالَ محمَّدُ بنُ واسعٍ: إذا أقبَلَ العبدُ بقلبِه على اللهِ أقبَلَ اللهُ بقلوبِ المؤمنين إليه[٧].

---

(١) قال أيوب السختياني: لقد جالست الحسن أربع سنين فما سألته هيبة له. «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٣/ ١١).

(٢) في (ع) و(ز) و(ض): «ولا».

(٣) في (ع): «المهاب».

(٤) بيتان مشهوران في وصف إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله.

ينسبان لبعض المدنيين كما في «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ٣١٨).

ونسب لعبد الله بن سالم الخياط في «الأخبار الموفقيات» للزبير بن بكار، و«الانتقاء» لابن عبد البر (ص: ٤٥)، و«الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٨٤) وغيرها.

ولسعيد بن وهب في «المحدث الفاصل» (ص: ٢٤٧) للرامهرمزي.

ولمصعب بن عبد الله في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ١١٣).

ولعبد الله بن المبارك في «منازل الأئمة الأربعة» للسلماسي (ص: ١٨٢).

ولسفيان الثوري في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٢/ ٣٤).

(٥) في (ز): «بعلمه». وهي كذلك في المطبوع من «حلية الأولياء»!.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٦٢).

(٧) المثبت من (ز) وحدها، وهو الموافق للمصادر. وفي سائر النسخ: «أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين». =

وقالَ أبو يزيدَ البُسْطامِيُّ: طلَّقْتُ الدُّنيا ثلاثاً بتاتاً[١] لا رَجْعَةَ لي فيها، وصِرْتُ إلى ربِّي وحْدي، فناديتُه بالاستغاثةِ: إلهي! أدعوكَ دُعاءَ مَنْ لم يَبْقَ له غيرُكَ. فلمَّا عرَفَ صِدْقَ الدُّعاءِ مِنْ قلبي، واليأسَ مِنْ نفْسي كانَ أوَّلُ ما وردَ عليَّ مِنْ إجابةِ هذا الدُّعاءِ أنْ أنساني نفْسي بالكُلِّيَّةِ، ونصَبَ الخلائقَ بينَ يديَّ معَ إعراضِي عنهمْ[٢].

وكانَ يُزارُ مِنَ البُلْدانِ، فلمَّا رأى ازدحامَ النَّاسِ عليه قالَ:

والَيْتَنِي صرتُ شيئاً ... مِنْ غيرِ شيءٍ أُعَدُّ

أصبحْتُ للكُلِّ مولىً ... لأنَّني لكَ عبدُ

وفي الفُؤادِ أمورٌ ... ما تُسْتَطَاعُ تُعَدُّ

لكنَّ كِتْمانَ حالي ... أحقُّ بي وأسَدُّ[٣]

كتَبَ وهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ[٤] إلى مَكحولٍ: أمَّا بعدُ، فإنك قد أصبْتَ بظاهرِ عِلْمِكَ عند النَّاسِ شرَفاً ومنزِلةً، فاطلُبْ بباطِنِ عِلْمِكَ عندَ اللهِ منزِلةً وزُلفى، واعلَمْ أنَّ إحدى المنزلتين تمنَعُ مِنَ الأخرى[٥].

= أخرجه الختلي في «المحبة لله» (ص: ٧٣)، وابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (١٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٥)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٧٩٨).

(١) في (ك) و(ع) و(ز): «بتًّا».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٦).

(٣) ذكر المصنف بيتين من هذه الأبيات في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى»، ولم أجدهما عند غيره.

(٤) الذي في «الحلية»: وهيب بن الورد!

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٥٩) من كلام وهيب لأخ له، وفي «البصائر والذخائر» (٥/ ١٢) مما كتب طاوس إلى مكحول، وأورده الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٤/ ٢٩)، مما كتبه وهب لمكحول، وذكر المصنف نحوه في «شرح حديث أبي الدرداء».

ومعنى هذا:

أنَّ العِلْمَ الظَّاهرَ مِنْ تعلُّمِ[١] الشَّرائِعِ والأحكامِ والفتاوى والقَصَصِ والوَعْظِ ونحوِ ذلكَ ممَّا يظهَرُ للنَّاسِ: يحصُلُ به لصاحبِه عندهمْ منزلةٌ وشرَفٌ، والعِلْمَ الباطنَ المودَعَ في القلوبِ مِنْ معرفةِ اللهِ وخَشْيَتِه ومحبَّتِه ومُراقبَتِه، والأُنسِ به، والشَّوْقِ إلى لقائِه، والتَّوكُّلِ عليه، والرِّضى بقضائِه، والإعراضِ عنْ عرَضِ الدُّنيا الفاني، والإقبالِ على جَوْهَرِ الآخرةِ الباقي: كلُّ هذا يُوجِبُ لصاحبِه عندَ اللهِ منزلةً وزُلفى، وإحدى المنزلتَينِ تمنَعُ مِنَ الأُخرى، فمَنْ وقَفَ معَ منزلتِه عندَ الخَلْقِ واشتغَلَ بما حصَلَ له عندهمْ بعِلْمِه[٢] الظَّاهرِ مِنْ شرَفِ الدُّنيا، وكانَ همُّه حِفْظَ هذه المنزلةِ عندَ الخَلْقِ ومُداراتَها[٣] وتزيينَها[٤] والخوفَ مِنْ زوالِها، كانَ ذلكَ حظُّهُ مِنَ اللهِ، وانقطَعَ به عنه، فهوَ كما قالَ بعضُهمْ: ويلٌ لِمَنْ كانَ حظُّه مِنَ اللهِ الدُّنيا[٥].

وكانَ سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ يَعْجَبُ مِمَّا[٦] يرى مِنْ عِلْمِ الجنيدِ، وحُسْنِ خِطابِه، وسُرْعةِ جوابِه، فقالَ له يوماً وقدْ سألَه عنْ مسألةٍ، فأجابَ وأصابَ: أخشى أنْ يكونَ حظُّكَ مِنَ اللهِ لسانَكَ، فكانَ الجنيدُ لا يزالُ يبكي خوفا[٧] مِنْ هذه الكلمةِ[٨].

---

(١) في (ت) و(ف): «ممن يعلم».

(٢) في (ت) و(ف) و(ض): «بعلمِ».

(٣) في (ت) و(ف) و(ك): «ومراتبها».

(٤) في (ت) و(ف): «وتربيتها».

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/ ٢٣، ٢٤، ٢١٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣١) (١٠/ ٣٨٩)، وفي «أخبار أصبهان» (٢/ ١٤٣) ولفظهم: «لقد خاب...»، والشجري في «ترتيب الأمالي الخميسية» (٢/ ٢٣٠) من كلام محمد بن يوسف الأصبهاني رحمه الله تعالى.

(٦) في (ز): «بما».

(٧) سقطت هذه الكلمة من (ت) و(ف) و(ض).

(٨) أخرجه القشيري في «الرسالة القشيرية» (١/ ٣١٣). وأبو عثمان البحيري في «التاسع من فوائده» =

ومَنِ اشتغَلَ بتربيةِ[١] منزلَتِه عندَ اللهِ بما ذكَرْنا مِنَ العِلْمِ الباطنِ وصَلَ إلى اللهِ، فاشتغَلَ به عمَّا سواه، وكانَ له في ذلكَ شُغُلٌ عنْ طلَبِ المنزلةِ عندَ الخَلْقِ، ومعَ هذا فإنَّ اللهَ يُعْطيه المنزلةَ في قلوبِ الخَلْقِ، والشَّرَفَ عندهمْ، وإنْ كانَ لا يُريدُ ذلكَ، ولا يقِفُ معه، بلْ يهرُبُ منه أشدَّ الهرَبِ، ويفِرُّ أشَدَّ الفِرارِ؛ خَشْيَةَ أنْ يقطعَهُ الخَلْقُ عنِ الحقِّ جل جلاله، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، أيْ: في قلوبِ عبادِه.

وحديثُ: «إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عَبْداً نادى جبريلَ[٢]: إنِّي أُحِبُّ فلاناً فأحِبَّه[٣]. فيُحِبُّه جبريلُ، ثمَّ يُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، ثمَّ يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ». معروفٌ، وهوَ مُخَرَّجٌ في «الصَّحيحِ»[٤].

وبكلِّ حالٍ، فطلَبُ الآخرةِ يحصُلُ معه شرَفُ الدُّنيا وإنْ لمْ يُرِدْهُ صاحبُه ولمْ يطلُبْه، وطلَبُ شرَفِ الدُّنيا يمنَعُ شرَفَ الآخرةِ، ولا يجتمِعُ معه[٥]، والسَّعيدُ مَنْ آثَرَ الباقيَ على الفاني؛ كما في حديثِ أبي موسى، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَنْ أحبَّ دنياهُ أضرَّ بآخرتِه، ومَنْ أحَبَّ آخرَتَه أضرَّ بدُنياهُ، فآثِروا ما يبقى على ما يَفنى». خرَّجَه الإمامُ أحمدُ وغيرُه[٦].

= (مخطوط)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٦٨). والجنيد كان في السابعة من عمره!.

(١) في (ت) و(ف): «بتربيته».

(٢) في (ت) و(ف): «يا جبريل».

(٣) «فأحبه»: لا توجد في (ت) و(ف) و(ض).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في (ف) و(ض): «وطلب شرف الدنيا مع شرف الآخرة، لا يجتمع معه».

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٩٦٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩)، والحاكم (٤/ ٣١٩) وصححه.

وما أحسنَ ما قالَ أبو الفتحِ البُسْتِيُّ الشَّاعرُ[١]:

أمـرانِ مُفْتَرِقـانِ لسـتَ تراهما ... يَـتَـشَـوَّفانِ[٢] لخِلْطَـةٍ وتـلاقِ

طلَبُ المعادِ معَ الرِّياسةِ والعُلى ... فـدَعِ الَّذي يفـنـى لِمَا هوَ باقِ[٣]

وهذا آخِرُ الكلامِ على حديثِ: «ما ذئبانِ جائعانِ أُرْسلا في غنمٍ بأفسدَ لها مِنْ حِرْصِ المرءِ على المالِ والشَّرَفِ لدينه» لأبي الفَرَجِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أحمدَ بنِ رجبٍ البَغْداديِّ الحنبليِّ نزيلِ دمشقَ رضي الله عنه، ونفعَنا والمسلمينَ بعلومِه وبرَكَتِه[٤].

* * *

(١) سقط هذا الوصف من (ك) و(ع) و(ض).

(٢) في (ز): «يتشوقان».

(٣) أورد البيتين ابن الصلاح في «طبقات الفقهاء الشافعية» (٢/ ٦٤٦)، وهما مما يُستدرك على ديوانه، كما ذكر محقق الطبقات.

(٤) لا توجد هذه الخاتمة في (ف) و(ض) وهي ثابتة في (ك) و(ز) و(ع).

وفي (ت): «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة بحمد الله وعونه».

وفي (ف) مثل ما في (ت) بزيادة أوله: «تم والحمد لله وحده».

وفي (ز): آمينَ، وكانَ الفراغُ مِنْ نسخِه في أواخرِ شهرِ رمضانَ المعظَّمِ قَدْرُه وحُرْمَتُه مِنْ شهورِ سنةِ اثنينِ وعشرينَ وألفٍ، على يدِ العبدِ الفقيرِ أحمدَ بنِ المرحومِ منصورِ المعروفِ بابنِ حَيّونَ البرلسي المالكيِّ، غفَرَ اللهُ ولوالديه، ولجميعِ المسلمينَ. آمينَ.

وفي (ع): «وقع الفراغ من نسخه على يد الفقير خير الله محمد بن عثمان بن سفيان بن مراد خان خصه الله وأسلافه بالرفد والإحسان في ١١ يوم الأحد من جمادى الآخرة لسنة ١١١٨.

ثم بعد برهة طالعته ثانياً وصححته، فصحَّ إن شاء الله تعالى. كتبه العبد خير الله محمد».

وفي (ض): «والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».